سلسلة الدراسات الفكرية (5)

الإجابات المرجعية بشأن المهدي و المهدية

في ضوء ورقة الإمام الصادق المهدي
المهدية في الماضي والحاضر والمستقبل

  

د. محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي

الطبعة الأولى 2025م

سلسلة الدراسات الفكرية (5)

الإجابات المرجعية بشأن المهدي و المهدية

في ضوء ورقة الإمام الصادق المهدي
المهدية في الماضي والحاضر والمستقبل

الدكتور
محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي

الطبعة الأولى
2025م

الإجابات المرجعية بشأن المهدي و المهدية

في ضوء ورقة الإمام الصادق المهدي
المهدية في الماضي والحاضر والمستقبل

الدكتور

محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي

الإيداع القانوني

......./2025م



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

الناشر

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان

جوال: 00249122094856 - 121566207

البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى – 2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

(سورة البقرة، الآية: 60)

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير والامتنان لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان، ودار آريثيريا للنشر والتوزيع لقيامهما بنشر هذا الكتاب.

المؤلف

مــن غيرنــا ليقــرر التاريــخ،
والقيــم الجديــدة والســير
مــن غيرنــا لصياغــة الدنيــا،
وترتيــب الحيــاة القادمــة

محمد المكي إبراهيم

الربط بين المهدية» كظاهرة دينية/سياسية و «التاريخ» كعلم يتطلب:

- الموضوعية والمسافة النقدية.
- مراجعة المسلمات المتداولة،
- فتح آفاق جديد للتفكير في المهدية بوصفها ظاهرة متعددة الأبعاد
- عدم حصرها في القراءات التمجيدية أو الإختزالات الضدية .

المؤلف

التحـدي التاريخـي هـو تقديـم عطـاء سـوداني يُقتـدى بـه لا يكـرر الطغيـان، بـل يبنـي بديـلاً ديمقراطيـاً، تنمويـاً، عـادلاً، ومستنيراً.

الامام الصادق المهدي

المحتويات

المقدمة

هـذا الكتـاب في أصلـه قـراءة تحليليـة موسـعة لمحـاضرة قمتُ بتقديمهـا ضمن **سلسـلة محـاضرات منصـة تعليـم وتزكيـة،**[1] تحـت عنـوان: **"مراجعـات المهديـة في ضـوء ورقـة الإمـام الصـادق المهـدي – المهديـة في المـاضي والحـاضر والمسـتقبل" بتاريـخ 7 سـبتمبر 2024 .**

جـاءت الورقـة التـي قدمهـا الإمـام الصـادق المهـدي في مؤتـم المهدية الثانـي، في سـياق لحظـة وطنية حرجة، حيـث أُعدت وقدّمـت في العـام 2020 [2]، في ظل واقع سـياسي واجتماعـي معقـد كان يعيشـه السـودان، محاولـةً لاسـتلهام روح الثورة المهديـة الخالـدة في اسـتنهاض الأمة وإحيـاء مشروعهـا الوطني .

وتناولـت الورقـة، من خلال قـراءة تحليلية لوثيقـة الإمام الصادق المهـدي «المهدية في المـاضي والحـاضر والمسـتقبل» [3] ، أبعـاد المهديـة كفكـرة ونهـج، وسـعت إلى تقديـم مراجعة فكريـة وعملية تسـهم في إعادة توجيـه المشروع المهـدوي ليخاطب تحديـات الراهن السـوداني، ويسـتشرف آفاق المسـتقبل.

ففي العام 2020، وفي ظل الواقع السياسي والاجتماعي المعقد الذي يعيشه السودان (كما اسلفت) ، أعد الإمام الصادق المهدي تلك الورقة وقدمها ضمن فعاليات مؤتمر خاص بالثورة المهدية ، محاولة لاستلهام روح تلك الثورة الخالدة في استنهاض الأمة وإحياء مشروعها الوطني. فقد شهد السودان في ذلك الوقت أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية متعددة، تراكمت عبر عقود من الحكم الشمولي الذي بدأ بانقلاب 1989، مما أدى إلى حالة من التوتر، النزوح الداخلي، وتراجع مؤسسات الدولة، إلى جانب مشاكل إقليمية ودولية أثرت بشكل كبير على الاستقرار الوطني.

---

(1) . منصـة تزكيـة هـي منصـة مجموعـة أسـفيرية داخليـة انبثـق عـن مقـترح قـدم في مجموعـة الفتـوى بهيئـة شـؤون الأنصـار وتضـم المهتمـين بالفكـر في الكيـان وتهـدف وتعنـى بالارتقـاء بالـذات فكريـاً وروحيـاً مـن خـلال تنظيـم حلقـات أسـبوعية (نقاشـات فكريـة، مدارسـات روحيـة) . وناقشـت حتـى تاريـخ هـذا الكتـاب عـدداً مـن المواضيـع الفكريـة والثقافيـة ومدارسـة قـراءات مجموعـة مـن الكتـب حيـث بلغـت الحلقـات 50 حلقـة حتـى نهايـة يوليـو 2025 .

(2) ايضـاً نـشرت هـذه الورقـة ضمـن كتـاب ، الإمـام الصـادق المهـدي ، يسـألونك (كبسـولات متنوعـة) ، صالـون الإبـداع للفنـون والثقافـة ، امدرمـان ، 2022 . منشـور إلكترونيـا في الرابـط (https://www.alsadigalmahdi.com) : يسـألونك: كبسـولات متنوعـة | الإمـام الصـادق المهـدي .

(3) . انعقـد مؤتـم المهديـة الثانـي بجامعـة جامعـة الأحفـاد للبنـات بالتعـاون مـع صالـون الإبـداع للثقافـة والتنميـة مؤتمـر المهديـة تحـت شـعار: المهديـة الفكـرة والدولـة في الفـترة مـن تـارخ

وتناولت الورقة ضرورة الفصل بين الكيان الدعوي والكيان السياسي، حيث يمثل الكيان الدعوي هيئة شؤون الأنصار التي تركز على الدعوة الدينية والخدمة الاجتماعية الخاصة بجماعة الأنصار، في حين يمثل حزب الأمة القومي الكيان السياسي الذي يستهدف بناء دولة ديمقراطية شاملة لجميع المواطنين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والعرقية. وأكدت الورقة أن فصل العمل الدعوي عن السياسي لا يعني فصل الدين عن الدولة، بل يعني احترام المساواة في المواطنة بين كل أبناء الشعب، مع الحفاظ على الروابط الدينية والأخلاقية التي تجمعهم.

وقد استعرضت الورقة ستة محاور أساسية للعمل في المرحلة القادمة، تشمل تبني الفكر الإسلامي الذي يعبر عن مطالب الخلاص الوطني، القيام بالدعوة والإرشاد على نطاق واسع بما يتجاوز الحدود القطرية، بناء ميثاق بين الجماعات الإسلامية لتحقيق السلام الداخلي، وإبرام ميثاق للتعايش والاحترام المتبادل بين الأديان السماوية، بالإضافة إلى تعزيز العمل الخيري والاجتماعي والإنساني، وتطوير الشباب من خلال تأسيس منظمة كشافة الفلاح.

كما قدمت الورقة دور حزب الأمة القومي في تبني مشروع وطني شامل لبناء دولة حديثة ديمقراطية تعتمد العدالة والتنمية والسلام الشامل، مع التركيز على حوارات شاملة مع كل القوى السياسية والاجتماعية، ومعالجة القضايا الوطنية الملحة مثل مشكلة النازحين، الوضع في الجنوب، قضية الأراضي والسدود، وإرساء العدالة الانتقالية عبر مفوضية الحقيقة والإنصاف.

ختاماً، دعت الورقة إلى هيكلة جديدة للكيانين الدعوي والسياسي، تكريساً لبرنامج الخلاص والإحياء، حيث يمثل حزب الأمة القومي نموذجاً ديمقراطياً تنموياً بديلاً عن الأنظمة الأوتوقراطية، مؤكدة على التحدي التاريخي الماثل أمام السودان ليرتقي نحو مستقبل مستقر ومزدهر، يقتدي به في المنطقة والعالم.

الفصل الأول

إشكالات الربط
بين المهدية والتاريخ

قراءة موضوعية نقدية

الفصل الأول

إشكالات الربط
بين المهدية والتاريخ

قراءة موضوعية نقدية

يتعين على الأنصار التعامل مع المهدية كعقيدة قائمة على مأموريات محددة، وتنزيل برامجها على أرض الواقع عبر أدوات الدعوة، وفي الوقت نفسه، على كل السودانيين النظر إلى المهدي كقائد وطني حركي مسؤول عن الثورة وإدارتها الفاعلة.

مدخل تأسيسي للكتاب:

تعد دراسة الثورة المهدية وسيرة الإمام المهدي من الموضوعات التي تطرح تحديات عميقة في الحقل البحثي، ليس فقط بسبب طبيعة الحدث ذاته، بل نتيجة التداخل المعقّد بين العوامل المنهجية والمصادرية، والظلال السياسية والاجتماعية التي ألقت بظلالها على سرديات هذا التاريخ. فقد كُتب عن المهدية من مواقع أيديولوجية متباينة، بين مُقدّسٍ يراها تجلياً روحانياً مطلقاً، وناقدٍ يحمّلها مسؤولية إخفاقات تاريخية، وبينهما طيف واسع من المقاربات الجزئية أو المتحيّزة.

لهذا كان من الضروري على الكاتب قبل أن يدخل الى موضوع الكتاب ، أن يفرد فصلاً خاصاً به كمدخل تأسيسي للكتاب، يحاول هذا الفصل أن يعالج الإشكالات المعرفية والمنهجية المرتبطة بالربط بين «**المهدية**»

كظاهرة دينية/سياسية و«التاريخ» كعلم يتطلب الموضوعية والمسافة النقدية. كما يسعى إلى مراجعة المسلمات المتداولة، وفتح أفق جديد للتفكير في المهدية بوصفها ظاهرة متعددة الأبعاد، لا يمكن حصرها في قراءات تمجيدية أو اختزالية.

وعليه، فإن الوقوف على عدد من المنطلقات المفاهيمية يصبح ضرورة لا غنى عنها، من أجل تناول موضوع المهدية في التاريخ برؤية منهجية متوازنة، تنأى عن التوظيف الأيديولوجي أو التقديس غير النقدي، وتفتح المجال أمام قراءة تستند إلى التحليل الموضوعي والمساءلة المعرفية.

المبحث الأول: منطلقات مفاهيمية:

أولاً: التاريخ كعنصر ثقافي وأهمية منهجية التعامل معه

في عالم يتزايد فيه الاهتمام بالثقافة وعناصرها، يظل التاريخ أحد الركائز الأساسية لفهم حاضر الشعوب وهويتها. غير أن هناك من يحاول «صنع تاريخ من لا شيء»، وهو أمر يثير التساؤل عن مدى صدقية الدراسات التي تعتمد على اجترار مواقف وعواطف أو أحكام مسبقة. في حالتنا، تاريخنا عميق الجذور وذا أبعاد متعددة، لكنه كثيراً ما يُتعامل معه بشكل عاطفي أو منقوص.

ثانياً: إعادة قراءة التاريخ بين الفهم والاستشراف

إننا لا نستطيع تغيير ما جرى من أحداث تاريخية، لكن يحق لنا إعادة قراءتها من منظور جديد، ليس بهدف إعادة إنتاجها، بل لفهم واقعنا الراهن واستشراف مستقبلنا. هذه القراءة الجديدة يجب أن تبتعد عن الأحكام المسبقة وأن تتبنّى رؤية نقدية تستند إلى تحليل دقيق.

ثالثاً: المنهج التاريخي والتحديات المعاصرة

رغم كثرة الانتقادات التي وُجهت إلى المنهج التاريخي باعتباره غير كافٍ لوحده لتقديم تعميمات دقيقة، إلا أن التوجه العلمي الحديث يدعو إلى المزج

بينه وبين مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والسياسية. ابن خلدون، الذي يُعتبر «أب التاريخ»، تجاوز المنهج الجامد حين ابتكر ما يمكن تسميته «دراسة باطن التاريخ“ (Para History)، أي عدم الاقتصار على التوثيق للحوادث، بل التعمق في أسبابها ومسبباتها، مع مراعاة العوامل الداخلية والخارجية المرتبطة بالأشخاص الفاعلين والسياق الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي.

رابعاً: ضرورة احترام معايير الزمن التاريخي

لا يجوز أن نقيس أحداث التاريخ بمعايير الواقع الحالي، فكل حادثة يجب أن تُفهم في إطار ظروفها الزمنية والمعطيات التي أحاطت بها. إسقاط معايير الحاضر على الماضي يؤدي إلى ظلم وخلط في التفسير، مما يفقد الدراسة مصداقيتها العلمية.

المبحث الثاني: إشكالات دراسة سيرة الإمام المهدي:

أولاً : تحديات منهجية ومصادريه

تمثل دراسة الثورة المهدية وسيرة الإمام المهدي تحدياً كبيراً على مستوى المنهج والمصادر. فالعديد من الدراسات اعتمدت المنهج التاريخي التوثيقي الذي يحصر فهم الثورة في سياق العنف الاستعماري التركي والإدارة الضعيفة، مع إغفال دور الإمام المهدي كشخصية فاعلة ذات مقدرات ذاتية في قيادة الثورة وإعادة إنتاج الظروف المحيطة.

غالباً ما وقع الباحثون في فخ انحيازين متعارضين: إما منهج هجومي ينفي صفة المهدية عن الإمام ويطعن في شرعية دعواه، أو منهج دفاعي يسعى لتأكيدها بغية تقوية مواقف الثورة، ما أدى إلى إهمال دراسة الشخصية القيادية للمهدي كقائد ثوري ذي قدرات ومهارات.

ثانياً : التحول من رمز وطني إلى رمز سياسي وطائفي

التحول في موقف المجتمع تجاه المهدي بعد وفاته، من قائد ثوري وطني إلى رمز سياسي مرتبط بتيارات وأطراف داخلية، خاصة حزب الأمة

وطائفة الأنصار، أدى إلى تهميش دوره الوطني العام، وفتح الباب أمام تحليلات متباينة، أحياناً متضاربة، أضعفت النظرة الموضوعية لشخصيته وتاريخه.

ثالثاً: ضعف المصادر وتداخلها

أحد الإشكالات الجوهرية هو قلة المعلومات الموثقة عن المهدي قبل إعلان مهدويته، واعتماد كثير من الدراسات على مصادر شفاهية مليئة بالتحيز والتكريس الأسطوري. كما أن الوثائق المتوفرة غالباً ما تكون تقارير استخباراتية عسكرية، مما يزيد من تعقيد الوصول إلى حقيقة متزنة.

السؤال المركزي في دراسة تاريخ المهدية هو: هل نتعامل معها كدعوة دينية مرتبطة بصاحبها؟ أم نراها كحركة ثورية ذات برامج وسلوكيات قابلة للتحليل والتفاعل مع مجتمعاتها وظروفها؟

يذهب الكاتب هنا إلى أن القراءة الموضوعية للتاريخ المهدوي يجب أن تركز على المهدية كحركة ثورية وإجرائية، مع اعتبار اختلاف الزمان وغياب المعطيات الذاتية عن القائد سبباً للاستناد إلى تحليل تفاعلي للأحداث.

ينبغي إعادة طرح المهدي كقائد وطني اتفقت عليه الجماهير حينها، وتجاوز جدلية «مهدية محمد أحمد» الضيقة التي تحصره في شروط واشتراطات محددة. كما يجب الاعتراف بأن شخصية الإمام المهدية كفرد غائبة بفعل مرور الزمن، لكن برنامجه الثوري ما زال حياً وقابلاً للتطويع وفق مقتضيات الواقع.

يتعين على الأنصار التعامل مع المهدية كعقيدة قائمة على مأموريات محددة، وتنزيل برامجها على أرض الواقع عبر أدوات الدعوة، وفي الوقت نفسه، على كل السودانيين النظر إلى المهدي كقائد وطني حركي مسؤول عن الثورة وإدارتها الفاعلة.

الفصل الثاني

تحليل وصفي للورقة

الفصل الثاني

تحليل وصفي للورقة

يقدّم هذا الفصل عرضاً وصفياً للأفكار الأساسية التي طرحها الإمام الصادق المهدي، دون الدخول في تحليلها أو تقييمها تفصيلياً. وسيُخصص الفصل التالي لتفكيك هذه المحاور عبر قراءة تحليلية معمقة، تسعى إلى استكشاف بنيتها الفكرية، واختبار مدى اتساقها مع الواقع السوداني وتحولاته، وقدرتها على تقديم حلول عملية للأزمات المعاصرة.

المهدية بين المرجعية والواقع – عرض وصفي تمهيدي:

يتناول هذا الفصل عرضاً وصفياً تمهيدياً للمحاور الرئيسة التي طرحها الإمام الصادق المهدي في ورقته حول تطور الفكرة المهدوية من أصلها العقدي إلى حضورها الحركي والسياسي، مروراً بجدليات التنظيم والدعوة، وانتهاءً برؤيته المستقبلية لمشروع إصلاح وطني شامل. يهدف هذا العرض إلى تقديم تصور عام للأفكار التي عالجها الإمام في ورقته، تمهيداً للفصل القادم الذي سيُخصص لقراءة تحليلية ونقدية متعمقة لتلك المحاور.

المهدية من الفكرة إلى الفاعلية: الجذور المرجعية والدعوية:

تناول الإمام الصادق المهدي في هذا المحور الأسس المرجعية والفكرية التي انطلقت منها رؤيته للمهدية، معرفاً إياها من حيث الأصل والمقصد، ومبرزاً العلاقة التي أقامها بين بعدها الديني الإصلاحي وبعدها الحركي السياسي. كما توقف عند الشروط التي يرى أنها تؤسس للمهدية، وناقش الإشكالية المتعلقة بكونها مهدية دعوية ذات طابع روحي أم مشروعاً إصلاحياً موجهاً للواقع السياسي والاجتماعي.

بين النص والواقع: امتدادات المهدية وتجربتها في الحكم:

استعرض الإمام الصادق في هذا القسم قراءته لتجربة المهدية في الحكم، وتحولها من حركة دينية إلى كيان سياسي قائم بذاته، مع ما صاحب ذلك من تحديات داخلية وصراعات خارجية. وقد ألقى الضوء على الكيفية التي حاول من خلالها إسقاط تلك التجربة التاريخية على الواقع السوداني الحديث، ضمن إطار مشروعه السياسي المعروف بـ«الخلاص الوطني»، الذي يسعى لإعادة بعث المشروع المهدوي في ظل تعقيدات السودان المعاصر.

جدلية الدعوي والسياسي: الفصل المؤسسي بين الدين والتنظيم:

وفي هذا المحور، طرح الإمام الصادق المهدي رؤيته المؤسسية للفصل بين الكيان الدعوي المتمثل في هيئة شؤون الأنصار، والكيان السياسي المتمثل في حزب الأمة القومي، موضحاً الدوافع الفكرية والتنظيمية لهذا الفصل. وقد تناول أثر هذا الطرح على الخطاب العام للحركة، وعلى التوازن المطلوب بين المرجعية الدينية والممارسة السياسية، مستعرضاً التحديات المرتبطة بالتداخل بين المقدّس والمدني.

نحو مستقبل مهدوي متجدد: من المشروع التاريخي إلى الإصلاح المعاصر:

اختتم الإمام الصادق المهدي ورقته بطرح رؤيته المستقبلية لإحياء المهدية كمنهج إصلاحي يتجاوز الطابع الشخصي أو الأسري، ويهدف إلى تجديد المشروع الوطني السوداني. وقد تناول في هذا السياق قضايا معاصرة كبرى، مثل العدالة الانتقالية، عودة النازحين، تعزيز الوحدة الوطنية، العلاقة بين دولتي السودان، وبناء نموذج ديمقراطي بديل. كما قدّم مشروع «الخلاص والإحياء» كمبادرة فكرية وسياسية تسعى لتفعيل الدور التاريخي للمهدية في مواجهة تحديات الحاضر.

الفصل الثالث

التحليل الموضوعي
لورقة الإمام الصادق المهدي

المهدية في الماضي
و الحاضر و المستقبل

الفصل الثالث

التحليل الموضوعي
لورقة الإمام الصادق المهدي

المهدية في الماضي
والحاضر والمستقبل"

مقدمة الفصل التحليلي: قراءة نقدية في ورقة الإمام الصادق المهدي حول المهدية

تأتي هذه القراءة التحليلية للورقة التي قدّمها الإمام الصادق المهدي في عام 2020، ضمن سياق تاريخي وسياسي بالغ الحساسية، حيث كانت البلاد تمر بمرحلة انتقالية دقيقة عقب الثورة، تستدعي إعادة النظر في الموروث السياسي والدعوي بمقاربات جديدة تواكب متغيرات الواقع السوداني. وقد قُدّمت هذه الورقة ضمن أعمال مؤتمر خاص بالثورة المهدية، بهدف استنهاض الوعي الوطني بدور الثورة المهدية وقائدها، والبحث في آفاق استلهام هذا الإرث في ظل التحديات المعاصرة.

تُعد الورقة التي طرحها الإمام الصادق المهدي وثيقة فكرية مهمة، حاولت من خلالها الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك عبر معالجة موضوع المهدية في أربعة محاور رئيسة: الجذور المرجعية والدعوية للفكرة المهدوية، وتحولها إلى تجربة حكم ومشروع سياسي، ثم تناول جدلية العلاقة بين الدعوي والسياسي في بنية الحركة، وأخيراً، طرح رؤية مستقبلية لإحياء المهدية كمنهج إصلاحي وطني.

وفي هذا السياق، يسعى هذا الفصل إلى تقديم قراءة تحليلية نقدية لمضامين هذه الورقة، من خلال تفكيك بنيتها الفكرية، واختبار منطلقاتها المرجعية، وتقييم مدى اتساقها مع الواقع السوداني وتحولاته الاجتماعية والسياسية. كما يركّز التحليل على استجلاء

نقاط القوة ومواطن الإشكال في التصورات التي قدمها الإمام، مع إبراز الفرص التي تفتحها هذه الرؤية، والتحديات التي تفرضها على مسارات التغيير الوطني.

سنتناول الفصل عبر أربعة مباحث رئيسة، هي:

1. المهدية من الفكرة إلى الفاعلية: الجذور المرجعية والدعوية:

ويُحلَّل فيه التأسيس الفكري للمهدية، وشروطها كما صاغها الإمام، مع مساءلة ثنائية الفكرة والدعوة في ضوء تطورات الفكر الإسلامي السياسي.

2. بين النص والواقع: امتدادات المهدية وتجربتها في الحكم:

ويُناقش فيه تحليل الإمام لتجربة الدولة المهدية، ومحاولته إسقاطها على واقع السودان المعاصر من خلال مشروع «الخلاص الوطني“.

3. جدلية الدعوي والسياسي: الفصل المؤسسي بين الدين والتنظيم

ويركّز هذا المبحث على فكرة التمييز المؤسسي بين هيئة شؤون الأنصار وحزب الأمة القومي، ويفكك الأبعاد الفكرية والتنظيمية لهذا الطرح.

4. نحو مستقبل مهدوي متجدد: من المشروع التاريخي إلى الإصلاح المعاصر

ويستعرض هذا القسم رؤى الإمام للمستقبل، ويتناول مشروعه لإحياء المهدية كمنهج إصلاحي يتفاعل مع قضايا السودان المعاصرة، لا كمجرد دعوة دينية أو زعامة موروثة.

سيتبع الكاتب في هذا الفصل **منهجاً تحليلياً نقدياً** يقوم على تقديم النصوص المحورية من الورقة **(كما وردت في الورقة المنشورة)** ، ثم قراءتها في ضوء السياق التاريخي والاجتماعي والسياسي، مع الوقوف على ما تطرحه من إشكالات نظرية وفرص عملية لإعادة التفكير في موقع المهدية ضمن مشروع بناء الدولة السودانية.

المبحث الأول

عقيدة المهدية
من الفكرة إلى الفاعلية: الجذور المرجعية والدعوية

المهدية في السودان مدرسة سنية جديدة فصلت المهدية من توقيت آخر الزمان ومن السلسلة النسبية المحددة. لذلك فإن اتباعها يعتبرون المهدية دعوة خلاص وإحياء أسسها الإمام محمد أحمد المهدي قابلة للتطور مع ظروف الزمان والمكان وبالتالي هم يرفضون أية مهدية أخرى تأتي آخر الزمان أو تأتي بشخص غاب وسوف يعود

المطلب الأول : المهدية (النص الوارد في الورقة)

(عقيدة المهدية عامة لدى أهل السنة والشيعة، لكنها لدى الشيعة جزء أساسي من العقيدة مرتبط بالنبوة، ففي اعتقادهم أن النبي صلى الله عليه وسلم عين الإمام علي خليفة له، وأن الإمامة متوارثة بعده على نمط واحد هو الحسن، ثم الحسين، ثم تسلسلت الإمامة في ذرية الحسين إلى الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، ثم ابنه محمد الذي غاب وسوف يأتي وقت ظهوره، وهو الإمام المهدي المنتظر. يقولون إن هؤلاء الأئمة باختيار إلهي، وهم معصومون، والإيمان بهم كالإيمان بالنبوة. هذا الاعتقاد مسنود بتأويل آيات في القرآن، وأحاديث منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم وللأئمة. وهذه عقيدة الشيعة الإثنى عشرية ولكن هنالك

مدرســتان أخريتــان همــا الســبعية والزيديــة. أي أن للشــيعة ثــلاث مــدارس في المهديــة.

الشـيعة باسـتثناء الزيديـة لا يقبلـون تعاقـب الخلافـة الإسـلامية منـذ أبـي بكر (رض) إلى عثمـان (رض) لذلـك وصفهـم بعـض متكلمي أهـل السـنة بالروافض.

أمــا أهل الســنة فقد صنفوا كتبــاً عديدة في تأييــد المهدية، ووضعــوا أوصافاً للمهدي المنتظــر كمــا جــاء في كتــاب "العرف الــوردي في أخبــار المهــدي" للســيوطي. وفي كتــاب "القول المختــصر في علامات المهــدي المنتظر" لابــن حجر العســقلاني. وهلم جــرا. كتــب الحديــث المعتمــدة لدى أهــل الســنة أوردت عــشرات الأحاديــث النبوية القائلــة بالمهديــة رواهــا كثــيرون: أبــو داود، وابن ماجــة، والطبري وآخــرون. هذه الأحاديــث المنســوبة للنبي صــلى الله عليه وســلم ذكــرت المهدي ولم تذكــر المنتظر؛ المنتظر إضافــة مذهبية.

عقيــدة المهــدي المنتظــر لــدى أهل الســنة ليســت راســخة كما هــي عند الشــيعة، بــل طعــن في حقيقتهــا عــدد مــن أهل الســنة كمــا جــاء في مقدمــة ابن خلــدون في القدامــى، وفي "ضحى الإســلام" لأحمــد أمين في المحدثــين. والاستشــهاد بالأحاديث النبويــة لــم يحســم الخــلاف حــول المهدية لأنهــا أحاديــث آحــاد. قال النــووي: لا يــكاد يوجــد متواتــر؛ أي رواه عــدلان عــن عدلــين تسلســلاً حتــى النبي صــلى الله عليه وســلم.

ولدى أهل الســنة حــول عقيدة المهدية ســبع مــدارس فصلناها في كتاب "يســألونك عن المهدية".

ولأن أهــل الســنة لا يقبلــون عقيدة الشــيعة في الإمامة تسلســلاً حتى الإمــام المهدي عندهــم وصــف متكلمو الشــيعة أهل الســنة بالنواصب.

المفارقات حول عقيدة المهدية:

بالنســبة لأهــل الســنة وظهــور المهدي آخــر الزمــان تواترت آيــات تدل عــلى أنه إذا جــاءت علامــات آخــر الزمــان لَا يَنفَــعُ نَفْســاً إِيمَانُهَا لَــمْ تَكُنْ آمَنَــتْ مِن قَبْــلُ، قال

تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ن)[1]. وقال: (فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ)[2]. إذن لا معنى لمهدية تأتي في آخر الزمان .

بالنسبة للشيعة مهما كانت الحجة النقلية أمثال قوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[3]. وقوله: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[4]. فإنه لا يجوز بقاء شخص حياً وقد ولد في 255هـ، أي قبل 12 قرن من الزمان، وقد قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[5].

إذن نقلياً وعقلياً لا يمكن قبول هذه الرؤية.

وعلى أية حال، مؤكد أن الشيعة لن يقبلوا مهدياً ليس هو محمد الحسن العسكري لذلك ادعى عشرات الدعاة المهدية كما بين ذلك سعد محمد الحسن في كتابه عن المهدية كلهم من أهل السنة لأن المهدية لدى الشيعة مرتبطة بشخص واحد في مكان واحد. وأهل السنة لن يقبلوا المهدية بالأوصاف الشيعية لأن هذا معناه التحول للمذهب الشيعي وقبول روايته للتاريخ والتزامه بالعقيدة الشيعية.

إذن صارت العقيدة المهدية أساس اختلاف حاد بين أهل السنة والشيعة لن يحسمه جدل منطقي ولا تغلب بالقوة.

حجة ابن خلدون ضد المهدية واهية، لأنه اعتمد على تضعيف أكثر الأحاديث النبوية، وقد اعتمد في رفضها على أساس أنها صارت وسيلة لعدم الاستقرار بفتحها المجال للثورات. ولكن معلوم أن واقع المسلمين صار إلى ملك عضود وظلم اجتماعي فادح ما يستدعى الخروج عليه.

هنالك تناقض حل بالأمة بين مثلها العليا وواقعها، ما يفسر الثورة على الواقع، وبما أن الواقع التمس لنفسه قدسية بمقولة مؤسس الدولة الأموية: ولايتنا بأمر الله فإن لم يكن يردها لغيّرها. ومقولة مؤسس الدولة العباسية أبو جعفر المنصور: إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وحارسه على ماله..الخ. هذا التقديس للسلطان استدعى خروجاً دينياً عليه.

هجوم أحمد أمين على فكرة المهدية في مؤلفه "ضحى الإسلام" لأنه يفكر في الأمور الاجتماعية بالمنظور الجدلي المنطقي. ولكن ليس بالإمكان دائماً تطبيق المقياس البرهاني على الحراك الاجتماعي لأنه مهما اختلف على الأسانيد السنية والشيعية حول المهدية فإن الفكرة تجسد الصراع بين المثالي والواقع.

ولا يمكن في المجال الإنساني عامة والإسلامي خاصة إسقاط الجانب الروحي المستمر والذي يزيد ظهوره بعد ختم النبوة قال تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)[6].

هذا جانب طرقه كثيرون من علماء المسلمين. قال الإمام الغزالي في أمر الرياضات الروحية إنها تؤدي إلى حالة: "تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد". وألف الإمام السيوطي كتاباً سماه "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك".

وفي علم النفس الحديث علماء مثل جونق، ووليم جيمس، يتحدثون عن عالم مشابه للعالم الروحي يجري الاتصال به عن طريق العقل الباطن، وحتى المدارس الوضعية تدرس عالم ما فوق الشعور: الباراسيكولوجيا. دينياً لا خلاف على الرؤيا الصادقة وعلى المبشرات والإلهام وفي واقع الحياة توجد المعية: الألمعي الذي يريك الرأي كأن قد رأى وقد سمع.

بعد هذه المقدمة المعرفية نتحدث عن المهدية في الماضي، والحاضر، والمستقبل:

المهدية في الماضي: الإمام محمد أحمد المهدي:

لم يقل إنه مهدي الشيعة المحدد بشخصه ومكان ظهوره، لذلك فإن العشرات من الذين ادعوا المهدية في تاريخ المسلمين كانوا جميعاً من أوساط السنة. ولدى بعض الزيدية أي اتباع زيد إبن علي بن الحسين فهم وظيفي للمهدية فحواه: كل فاطمي شجاع زاهد سخي خرج ثائراً على الظلم يكون إماماً مهدياً.

إذن هو ليس المهدي كما عبر عنه الشيعة.

وفي أقواله لم يقل إنه جاء في آخر الزمان بل اعتبر الزمان مستمراً وخلف الخلفاء أسوة بالصدر الأول للإسلام.

إذن هو ليس المهدي كما توقعه كتاب سنيون منتظراً آخر الزمان.

وكان يقول إن دعوته هي دعوة اتباع فيما يتعلق بالأمور الشعائرية وفي هذه المجالات دعوته تقبل أو ترفض قياساً على الكتاب والسنة كما قال.

وبصرف النظر عن الدعوات المهدية فإن القرآن يحث على مهمة الخلاص قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[7]. وقال: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[8]. وقال: (فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ)[9].

في سيرته الذاتية روى الشيخ محمد أحمد أنه ضاق بالفرق بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين، وأنه لذلك سعى ليجد قائماً بأمر الدين فلم يجده، وأنه أثناء عباداته هجمت عليه المهدية بخطاب روحي حصل له وصدقه.

خلاصة دعوته:

أن الإسلام معطل وأن واقع المسلمين يتطلب إحياء الكتاب والسنة.

أن الناس تركوا أصول الدين وانشغلوا باستنباطات الفرق والفقهاء ما يوجب تركها والالتزام بمصادر الدين الأصلية في الكتاب والسنة.

أن إحياء الدين يتطلب الاتباع فى الأمور الشعائرية، وتجاوز الاجتهادات الماضوية في أمر المعاملات والعادات، باعتبار تغير الفتوى مع أحوال الزمان والمكان والحال كما قال ابن القيم، ومقولته "لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال".

إن تفرق المسلمين يتطلب وجود قيادة تملأ مقعد خلافة النبي صلى الله عليه وسلم.

اسقاط الزامية الاستنباطات البشرية التي جعلت الدين اتباعاً لها فصارت حائلاً بين الأمة وقطعيات الوحي. وكما قال الجوزي التقليد فيه إبطال لمنفعة العقل لأنه إنما خلق للتدبر والتعقل وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيئ بها أن يطفئها ويمشي في الظلام.

ضرورة القضاء على الحكام الظلمة الذين ساموا الناس عسفاً.

ضرورة تحرير المسلمين من السلطان الأجنبي وتوحيد الأمة.

ضرورة الالتزام بالعدالة الاجتماعية.

هذا هو جوهر الدعوة، لذلك أشاد بها الإمامان جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، في مجلة "العروة الوثقى" التي كانا يصدرانها من باريس. ونشر الشيخ أحمد العوام أحد زعماء الثورة العرابية كتاباً مؤيداً للدعوة بقوله: "حال المسلمين يتطلب أن ينهض ناهض بأمر الدين فنسأل الله أن يمكن لنا ديينا الذي ارتضاه لنا وفاء لصادق وعده، وتصديقاً لحديث نبيه سواء كان بالإمام المهدي هذا عليه السلام فقد ظهرت كواكبه، ولاحت بوارقه، أو بغيره من عباده الصالحين".

وعلى نفس النمط هذا قال د. عبد الودود شلبي عن الدعوة المهدية في السودان: "كانت حركة تمثلت فيها كل حركات الإصلاح في عصرها".

مدرسة المهدية في السودان مدرسة سنية جديدة فصلت المهدية من توقيت آخر الزمان ومن السلسلة النسبية المحددة. لذلك فإن اتباعها يعتبرون المهدية دعوة خلاص وإحياء أسسها الإمام محمد أحمد المهدي قابلة للتطور مع ظروف الزمان والمكان وبالتالي هم يرفضون أية مهدية أخرى تأتي آخر الزمان أو تأتي بشخص غاب وسوف يعود.

أهمية هذه التعاليم للصحوة الإسلامية، أنها:

حررت الدعوة المهدية من قيد آخر الزمان، ومن قيد السلسلة النسبية، وربطتها بوظيفة الخلاص وإحياء الدين أي بواجبات محددة.

حررت النهج الإسلامي من إلزامية الاجتهادات البشرية المقدرة ولكن غير الملزمة في الفرق والمذاهب.

أكدت مشروعية الاجتهاد المستمر في المعاملات والعادات على أساس لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال.

وفقت ما بين الالتزام بالنص والأعماق الروحية، وقديماً قال الإمام مالك: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. وعن طريق الراتب قدمت نصاً ابتهالياً خالصاً مجرداً من أية مكانة لصاحبها، ومن أية ادعاءات مطلبية، بل ديوان للمحبة الإلهية والأشواق الروحية، ديوان يستطيع كل مسلم أن يلوذ به للذكر.

وفي ندوة في 6/9/2006م حضرها جماعة من أهل السنة، والشيعة الإثنى عشرية، والصوفية، قلت: الاختلافات بيننا حول المهدية لا يمكن حسمها لا بالإقناع ولا بالقوة، ما يوجب أن يحتفظ كل برؤيته، وهي من الأمور التي قال عنها تعالى في القرآن: (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ)[10]. ولكن ما لا ينبغي الاختلاف عليه هو وظيفة الخلاص ووظيفة الإحياء، فلنتفق على هاتين الوظيفتين وفيهما فإن تعاليم الإمام محمد أحمد المهدي ضرورية لوظيفة الإحياء.

الحاضرون على اختلاف مذاهبهم رأوا معقولية هذا الرأي.

إن للدعوة المهدية في السودان بالإضافة لهذا الرافع الديني روافع أخرى:

جعلت السودان مركز عطاء لا مجرد استقبال للحركة الفكرية في الإسلام، ووحدت السودانيين في عمل تاريخي مشترك، وسجلت لمواطنيه بطولات سار بذكرها الركبان، وفي مجال النصر والهزيمة خصبت الوطنية السودانية.

وفي تعاليمها الاجتماعية نقلت الفكر الديني من الاستكانة للظلم الاجتماعي الذي كرسته النظم السلطانية، إلى مركزية العدل الاجتماعي على نحو ما جاء في سيرة أبي ذر الغفاري. العدالة الاجتماعية لدى الإمام المهدي احتلت مكانة مركزية حيثياتها:

لكل من الناس حسب حاجته وله ضرورته و"الزائد عن الضرورة فإنه على العبد لا له".

المشارع والحدائق والمباني وكل المواقع ذات النفع العام تضم لبيت المال لتحقيق الكفاية للناس.

والأرض لمن يفلحها: من كان له طين فليزرع ما استطاع زرعه وإن عجز أو لا يحتاج له فلا يأخذ عنه فيه "دقندي" أي أجر، بل يعطيه لأخيه المؤمن المحتاج.

لذلك قال عبد الودود شلبي إنه سبق بهذه الأحكام الاشتراكيين.

وكتب جي أوكيلي الايرلندي محيياً الثائر السوداني كمصلح اجتماعي واقتصادي وعبر عن أشواقه "لتمتد أيدي هذا البطل الإسلامي الجديد لتلتقي مع جهود الاشتراكيين في أوربا".

بل في إطار حركات التحرير يومئذٍ وصف زعيم حركة التحرير الايرلندي – بارنيل– بأنه المهدي الايرلندي.

وفي مجال التعامل مع الإمبريالية أوجبت الجهاد تحريراً منها بصورة نالت إعجاب دعاة التحرير من الامبريالية. إشارة ظهرت في رسائل فريدريك إنجلز.

هل هذا العطاء معناه أن المهدية مبرأة من كل عيب؟ الجواب قطعاً لا.

أهم المآخذ على الدعوة المهدية:

ينبغي تقسيم تاريخ المهدية في الماضي إلى مرحلتين مرحلة الدعوة وتنتهي بوفاة الإمام المهدي ومرحلة الدولة وهي التي قادها الخليفة عبدالله. وحول ملابسات المرحلتين نقول:

نسب للإمام المهدي أنه قال من شك في مهديتي فقد كفر. هذه مقولة خاطئة وردت في بعض المنشورات على أنها بلاغ في حضرة ولكن لم يترتب عليه إجراء عملي بدليل أنه أجاز لبعض أصحاب الطرق الصوفية كالجزولية الذكر بأورادها وفيهم من لم يؤكن بالمهدية.

ونحن دعاة هذا المقام نتعامل مع النصوص الواردة بالتدبر وعلى أساسه لا نكفر من لا يؤمن بها.

قيل أن المهدية أجبرت المسيحيين على الإسلام ولكن ورد في صحيفة إيرلندية هي المختبر الايرلندي (عام 1884) نص مقابلة الإمام المهدي أوليفر باين الذي قال أنه قاله له أنه لا يجبر الناس على تغيير دينهم. وقد أوضح الأستاذ عبد المحمود أبو شامة في كتابه (من أبا لتلسهاي) أن المهدية خيرت القساوسة الذين كانوا في الجبال بين الإسلام أو إبلاغهم مأمنهم. ومهما كانت الوقائع التاريخية فدعاة هذا المقام الآن يؤمنون بأن ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[11]. وأن الواجب هو: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[12]. ولكن تاريخياً كانت الصرامة مع الأجانب باعتبارهم جواسيس للعدو.

مرحلــة الدولــة التــي قادهــا الخليفــة عبــد اللــه شــهدت أمريــن مهمــين همــا عــدم تقبــل الــولاءات الموروثــة القبليــة والطائفيــة لســلطة مركزيــة. وتكالــب القــوى الامبرياليــة ضــد الدولــة مــا أدى في الحالتــين لمنازعــات واقتتــال اســتغله ونجيــت رئيــس قلــم المخابــرات في جيــش العــدو وشــجع كتــاب مثــل نعــوم شــقير، وســلاطين، وأهرولــدر، وإبراهيــم فــوزي لكتابــة كتب هــي بمثابــة دعاية حربيــة ضــد المهديــة كمــا قــال الأســتاذ بيــتر هولــت في مقدمــة لكتــاب ونجيــت عــن المهديــة نعــم وقعــت بعــض التجــاوزات ولكننــي في كتابــي "يســألونك عــن المهديــة" تطرقــت لأهمهــا مثــل حادثــة البطاحــين، وحادثــة المتمــة، وغيرهمــا أوضحــت حقائقهــا. وركــزت الدعايــة الحربيــة عــلى تشــويه شــخصية الخليفــة عبــد اللــه – خليفــة المهــدي بانــه :جاهــل، عربيــد، ظالــم. كان المهــدي مــن أكثــر النــاس حرصــاً عــلى العلــم فــلا يمكــن أن يــولي جاهــلاً. ومقولــة عربيــد لا يمكــن أن يوصــف بهــا شــخص يــؤم الأوقــات الخمســة في الجامــع. صحيــح كان حكمــه حازمــاً ولكنــه واجــه مؤامــرات معاديــة تصــدى لهــا ولكــن كمــا قــال تشرشــل فرغــم الهزيمــة في كــرري لــم ينفــض النــاس عنــه. وفي تقديــر ونجيــت أن الدولــة قويــة ولا يمكــن إســقاطها إلا بعمــل مــن الخــارج.

وفي كتــاب بيــتر هولــت عــن الدولــة المهديــة بيــان لجدواهــا بمقاييــس زمانهــا. ورغــم معارضــة الكيانــات الموروثــة والتدخــلات الامبرياليــة حافــظ عــلى وحــدة البــلاد والدفــاع عنهــا وفي النهايــة لــم يهزمهــا إلا غــزو امبريــالي بأســلحة ناريــة جديــدة.

كانــت الدعــوة تتعامــل في علاقاتهــا الخارجيــة بموجــب رســالتها فلــم تكــترث بالواقــع الإقليمــي والــدولي المعــاصر.))))))))

المطلب الثاني : القراءة التحليلية

أولاً : مفارقة مفاهيمية بين الطور والمرحلة

قبــل تنــاول الفصــل الأول مــن الورقــة، نتطــرق ونلقــي نظــرة سريعــة الى **اختيــار الســيد الصــادق المهــدي اســتخدام مصطلــح « الطــور « عوضــاً**

عن مصطلح « المرحلة « ، وهما مختلفان كما سيرد أدناه :

المعروف جدلاً أن المفاهيم تمثل أدوات تحليلية لا غنى عنها في فهم التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية. ومن بين المفاهيم التي تستدعي الوقوف عندها في قراءة الورقة التي قدّمها الإمام الصادق المهدي حول المهدية، مفهومي «الطور» و»المرحلة». إذ لا يُعد التفريق بينهما أمرًا لغويًا أو اصطلاحيًا فحسب، بل يكشف عن رؤية تحليلية أعمق لفهم سيرورة المشروع المهدوي وتحولاته. في هذا الفصل، نتناول أولًا البعد اللغوي لهذين المفهومين، ثم نحللهما من زاوية اصطلاحية، وصولًا إلى المبحث الثالث الذي نعرض فيه كيف استخدم الإمام الصادق المهدي مصطلح «الطور» بشكل مقصود ومنهجي، بديلاً عن «المرحلة“.

المعني اللغوي لمفهومي الطور والمرحلة:

أولًا: الطور

الطور في اللغة العربية مشتق من الجذر (ط و ر)، ويدل على الحالة أو الهيئة التي يمر بها الشيء في أثناء تحوّله. وقد ورد في «لسان العرب» لابن منظور[1] :

الطَّوْرُ: الحالُ والحِلْيةُ والمَرْتَبة من المراتب، والجمع أطوار“. وفي التنزيل الحكيم قوله تعالى: **{وقد خلقكم أطواراً}** [نوح: 14]، أي في حالات متتالية ومراحل مختلفة من الخلق، تشير إلى **تغيّر في الكيف والصفة** وليس فقط في الزمن.

(1) لسان العرب - ابن منظور - طبعة بولاق 1300 هـ ابن منظور (630 هـ/1232 م - 711 هـ/1311 م) هو أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية. من أشهر مؤلّفاته معجم لسان العرب. وابن منظرة هو محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الروي فعى الإفريقى. ولد في محرم سنة 630 هـ/ 1232 م، واختلفت الأقاويل حول مكان ولادته، قيل بقفصة تونس، وقيل بطرابلس ليبيا، وقيل بمصر. ويعدّ من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. تتلمذ على يد عبد الرحمن بن الطفيل، ومرتضى بن حاتم، ويوسف المخيلي، وأبي الحسن علي بن المقير البغدادي، والعالم الصابوني. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس. عمي في آخر عمره وتوفي في مصر في شعبان سنة 711 هـ/1311 م.

وبهذا يُفهم «الطور» لغويًا على أنه **نقلة نوعية**، أو هيئة متميزة ضمن سلسلة تطور، لكنها لا تعني بالضرورة تتابعًا زمنيًا مجردًا، بل تغيرًا في البنية أو الوظيفة.

ثانيًا: المرحلة

المرحلة مأخوذة من الجذر (ر ح ل)، وتدل على المسافة التي يقطعها المسافر من منزل إلى منزل. يقول ابن منظور:

"المرحلة: المسافة بين منزلتين من منازل الطريق»، ويُطلق مجازًا على **الفترة الزمنية** التي يمر بها الإنسان أو الحدث في أثناء تطوره.

وبذلك، تُحيل «المرحلة» إلى **حيّز زمني** ضمن سياق أشمل، تُفهم من خلال موقعها التتابعي في مسار الحدث أو الكيان.

ثالثًا: الفرق اللغوي

من حيث اللغة، فإن «الطور» يشير إلى **تحوّل في الكيفية أو الوظيفة**، بينما «المرحلة» تشير إلى **امتداد زمني متسلسل**. الطور يتصل بالهوية البنيوية للشيء، والمرحلة ترتبط بتقدّمه الزمني [1].

المعنى الاصطلاحي للطور والمرحلة [2].

أولًا: الطور اصطلاحًا

يُستخدم مصطلح «الطور» في العلوم الاجتماعية والفكرية للإشارة إلى **نقلة نوعية في بنية الفكرة أو طبيعة الكيان**. ففي فلسفة العلم، يشير توماس كون (Thomas Kuhn) إلى «التحول النموذجي» أو ما يُعرف بــ Paradigm Shift، وهو تغيّر في **نمط التفكير** وليس فقط في تسلسل الأفكار. كما يُستخدم في علم الاجتماع لتحليل المراحل التاريخية الكبرى التي تمر بها الحركات أو الدول، حيث يمثل كل «طور» حالة قائمة بذاتها من حيث الرؤية والأهداف والوظيفة

---

(1) https://www.arabicacademy.gov.eg مجمع اللغة العربية بالقاهرة | معنى الطور .

(2) محمود زعيم عباس يوسف، فلسفة العلم عند توماس كون ، مجلة كلية الآداب جامعة قنا ، لمجلد 30، العدد 52 - الجزء الثاني، يناير 2021، الصفحة 353-372 . منشورة في الرابط التالي : https://qarts.journals.ekb.eg

ثانيًا: المرحلة اصطلاحًا

في المقابل، تُشير «المرحلة» إلى **فترة زمنية محددة** ضمن مسار تطوري عام، وغالبًا ما تُستخدم في النظريات التربوية أو النفسية أو السياسية لوصف انتقال تدريجي من حالة إلى أخرى. المرحلة لا تفترض بالضرورة تحولًا بنيويًا أو نوعيًا، بل مجرد امتداد زمني أو تراكم كمي.

استخدام الإمام الصادق المهدي لمصطلح «الطور» بدلًا عن «المرحلة"

في الورقة التي قدّمها الإمام الصادق المهدي عام 2020، نلحظ بكل وضوح أنه يستخدم مصطلح **"الطور"** باستمرار عند تحليل مسار المهدية، متجنبًا استخدام كلمة «المرحلة». وهذا الاستخدام ليس عرضيًا، بل يعكس **فهمًا تحليليًا عميقًا لطبيعة التحولات التي مرت بها المهدية**، من حيث البنية والمقصد.

الأطوار كما وردت في تصنيف الإمام الصادق المهدي للمهدية

قسّم الإمام الصادق المهدية إلى **أربعة أطوار** رئيسة:

1. **الطور الرسالي الدعوي (1881–1885)**: حيث تأسست الدعوة على خلفية دينية إصلاحية قادت إلى ثورة شعبية ذات مضمون ديني.
2. **الطور الدولتي (1885–1898)** : تحولت الدعوة إلى دولة قائمة، وبدأت تتعامل مع شؤون الحكم والسلطة، وهو تحول في الوظيفة والبنية.
3. **الطور السياسي المقاوم (1898–1956)**:سقطت الدولة، وتحولت المهدية إلى مشروع سياسي مقاوم للاستعمار، بقيادة الإمام عبد الرحمن المهدي.
4. **الطور المدني الديمقراطي (1956–2020)**:قاد فيه الإمام الصادق المشروع نحو التوفيق بين المرجعية الدينية والديمقراطية الحديثة.

دلالة استخدام «الطور» في خطابه:

اختيار الإمام لهذا المصطلح يعكس عدة دلالات:

- أنـه **ينظـر إلى كل طـور عـلى أنـه كيـان مسـتقل** في أهدافـه ووظيفتـه وسـياقه.
- يعكـس قناعـة بـأن **المهديـة ليسـت مسـارًا تاريخيًـا خطيًـا، بـل مشروعًـا مرنًـا يتجـدّد ويتحـوّل.**
- يفتـح البـاب لإمكانيـة الدخـول في **طـور جديـد مسـتقبلي**، دون أن يكـون ذلـك امتـدادًا آليًـا لمـا سـبقه.

أثر هذا التصنيف في قراءة المهدية:

تسـمية هـذه التحـولات «أطـوارًا» وليـس «مراحـل» تسـمح بتحليـل بنيـوي وفكـري للحركـة المهديـة، وتُـبرز طابعهـا التجـددي، وتُمكّـن مـن تجـاوز النظـرة الحتميـة أو التبجيـل التاريخـي، نحـو تحليـل نقـدي يدمـج الفكـرة بالواقـع.

إن الفـرق بـين مفهومـي «الطـور» و»المرحلـة»، لغويًـا واصطلاحيًـا، ليـس تفصيـلًا لغويًـا بحتًـا، بـل يُمثّـل مدخـلًا تأويليًـا لفهـم منهـج الإمـام الصـادق المهـدي في قراءتـه للمهديـة. فاختيـاره لمصطلـح «الطـور» يعكـس تبنيـه لرؤيـة تحليليـة تـرى في المهديـة مشروعًـا متحـوّلًا ومتجـدّدًا، لا مجـرد مسـار تاريخـي متتابـع. وبهـذا الفهـم، يمكـن إعـادة بنـاء المهديـة كمفهـوم يتفاعـل مـع متغـيرات الزمـان، دون أن يفقـد جـذوره المرجعيـة.

تحليل مقدمة الورقة: المنظور المذهبي للمهدية:

تتنـاول الورقـة في مقدمتهـا عقيـدة المهديـة مـن منظـور **مذهبـي مقـارن**، بـين أهـل **السـنة والشـيعة**، مـع اسـتعراض الخلفيـات الدينيـة والنقليـة التـي تسـتند إليهـا كل طائفـة، كمـا يبـيّن الكاتـب الخلافـات العميقـة التـي تجعـل

من التوافق بين الرؤيتين أمراً بالغ الصعوبة، إن لم يكن مستحيلاً. ثم يناقش الناقدين للفكرة من داخل التيار السني مثل **ابن خلدون وأحمد أمين**، ويقدم رؤية تتجاوز الجدل العقدي إلى بعد **اجتماعي وروحي ونفسي**.

أبرز الأفكار والمحاور

1. **عقيدة المهدية في الفكر الشيعي:**

- جزء أساسي من العقيدة.
- المهدي شخصية محددة (محمد بن الحسن العسكري).
- غائب منذ القرن الثالث الهجري وسيظهر آخر الزمان.

2. **عقيدة المهدية في الفكر السني:**

- مقبولة لدى أغلب المدارس لكنها ليست ركناً من أركان العقيدة.
- المهدي ليس شخصية محددة منذ البداية.
- طعن بعض العلماء في صحتها (مثل ابن خلدون وأحمد أمين).

3. **الخلاف المذهبي:**

- الشيعة يعتبرون أهل السنة نواصب.
- أهل السنة يرفضون فكرة الإمامة الوراثية والعصمة.

4. **الناقدون للفكرة:**

- ابن خلدون وأحمد أمين يرون أن المهدية فتحت الباب للفتن السياسية والثورات.
- الصادق المهدي يرد بأن الثورة على الظلم مبررة لأن الحكام قدّسوا أنفسهم باسم الدين.

5. **البعد الروحي والفلسفي للمهدية:**

- لا ينبغي حصر المهدية في الأدلة النقلية فقط.
- الجانب الروحي والاجتماعي لا يمكن إغفاله.
- تجارب التصوف، والرؤى، والباراسيكولوجيا تؤكد أن هناك تواصلاً مع عالم غير مرئي.

ومن خلال تحليل مضمون مقدمة الورقة يمكن القول بأنها احتوت على عمق معرفي حيث قدم الإمام الصادق المهدي عرضاً شاملاً للأبعاد العقدية والتاريخية، ويظهر اطلاعه على التراث الشيعي والسني بشكل متوازن. **كما انها اشتملت على بعد نقدي ، حيث نجد أن** الصادق المهدي لا يتوقف عند حدود العرض، بل يناقش آراء النقاد ويفندها بالعقل والنقل ، **إضافة الى الميل للتوفيق بين المثالي والواقعي فالصادق المهدي يرى** أن المهدية ليست فقط قضية عقائدية، بل هي **تعبير عن الحاجة المستمرة إلى إصلاح الواقع باسم المثال.**

وتكمن قوة مقدمة الورقة في شموليتها حيث عالجت الموضوع من عدة مداخل (دينية، تاريخية، اجتماعية، روحية، ونفسية) ، ولكن ايضاً يمكن ملاحظة **عدم الحسم**، فعلى الرغم من الطرح العقلاني، تبقى بعض النقاط **بلا حسم قاطع (كالبعد الروحي). ويستخدم الإمام الصادق المهدي اللغة العلمية مع طابع إصلاحي** ويوجه الخطاب بصورة أكاديمية نحو التغيير الاجتماعي لا التنظير فقط

خلاصة المقدمة:

المقدمة تمهد لفهم المهدية كفكرة **متجددة** ومفتوحة على التأويل، لا يمكن حصرها في مفاهيم مذهبية جامدة، وهي تمثل – في رأي الكاتب – **استجابة دينية واجتماعية للصراع بين المثال والواقع.**

المهدية في الماضي – الإمام محمد أحمد المهدي:

المهديــة عنــد الإمــام محمــد أحمــد ليســت نهايــة الزمــان، ولا سلســلة نســبية مغلقــة، بــل هــي حركــة تجديديــة ترتكــز عــلى القــرآن والســنة، تنــادي بالعدالــة الاجتماعيــة، وتقــاوم الاســتعمار والظلــم. وقــد تعرضــت لتشــويه ممنهــج، لكنهــا تركــت إرثــاً إصلاحيــاً لا يــزال حيّــاً، خاصــة عــبر تعاليمهــا الاجتماعيــة والروحيــة التــي لا تدعــو للعنــف أو الإكــراه، بــل للتجديــد والتحريــر والعــدل

ملخص :

يتنــاول الصــادق المهــدي في هذا الفصل **شــخصية الإمــام محمد أحمــد المهدي**، مؤســس الدولــة المهديــة في الســودان، مبيناً أنــه لم يــدّعِ المهدية بالمفهوم الشــيعي، ولا حــصر نفســه ضمــن تصــوّر «المهــدي المنتظــر» الذي يتحــدث عنه بعــض أهل الســنة. بــل طرح المهــدي فكــراً إصلاحيــاً واجتماعياً قائمــاً على **وظيفــة الخلاص الدينــي والاجتماعــي**، متحرراً مــن القيود الزمنية والنســبية التــي أحاطت بفكرة المهــدي في الســياقات المذهبيــة. يــرى الكاتــب أن المهدي أســس **مدرســة مهدوية ســنية جديــدة** في الســودان، ذات طابــع عمــلي إصلاحــي، وأنها قدمت مســاهمات نوعيــة دينيــة، اجتماعيــة، ووطنية، رغم مــا اعتراها مــن أخطــاء وتجاوزات.

الأفكار والمحاور الرئيسة:

الإمــام الصــادق المهــدي يميــز بــين مهديــة محمــد أحمــد وبــين التصــور الشــيعي والســني الكلاســيكي للمهديــة مــن خــلال :

- لم يدّعِ أنه المهدي الغائب.
- لم يقل إنه يظهر في آخر الزمان.
- لم يقم دعوته على العصمة أو النسب وحده، بل على الإصلاح.

المهدية كوظيفة إصلاحية:

- إحياء الدين، والعودة للقرآن والسنة.
- تجاوز الجمود الفقهي، وإحياء الاجتهاد.
- مقاومة الظلم السياسي والاحتلال الأجنبي.
- التركيز على العدالة الاجتماعية.

البعد الروحي والرمزي في الدعوة:

- المهدية أتته "بخطاب روحي" أثناء عبادته.
- قدمت نموذجاً متوازناً بين النص الشرعي والروحانية الصوفية.

الاعتراف بالاختلاف المذهبي حول المهدية:

- يقر الإمام الصادق أن الخلاف حول المهدي لن يُحسم بالجدل أو القوة.
- يطرح التركيز على الوظيفة: الخلاص والإحياء بدلاً من الاسم أو الزمان أو النسب.

إنجازات المهدية في السودان:

- وحدة السودانيين حول مشروع وطني ديني.
- نقل مركز الفكر الإسلامي إلى السودان.
- تبنّي العدالة الاجتماعية في ممارسات فعلية.

الاعتراف بالأخطاء وتقييم نقدي للدولة المهدية:

- يفرق بين مرحلة الدعوة (في عهد المهدي) ومرحلة الدولة (في عهد الخليفة عبد الله) .

- يـرد عـلى بعـض الاتهامـات مثـل: تكفـير المعارضـين، إجبـار غـير المسـلمين عـلى الإسـلام.

- ينتقد الدعاية الاستعمارية التي شوهت صورة المهدية.

- يعـترف بوقـوع تجـاوزات مثـل «حادثـة البطاحـين»، لكنـه يضعهـا في سـياق تاريخـي معقّـد.

وبنظـرة تحليليـة لمـا ورد بمضمـون هـذا الجـزء مـن الورقـة نلحـظ التـالي :

التميز الفكري:

الإمـام الصـادق يضـع **حـداً فاصـلاً** بـين «المهديـة الأسـطورية» والمهديـة العمليـة التـي مثّلهـا الإمـام محمـد أحمـد. ويعـرض المهديـة كحركـة **إصـلاح دينـي واجتماعـي** وليسـت ظاهـرة نهايـة زمـان.

النقد الذاتي والتوازن:

رغـم انتمائـه الفكـري والدينـي المبـاشر للمهديـة، يعـترف بالأخطـاء بجـرأة (مثـل حادثـة المتمـة والبطاحـين). يدعـو إلى تدبّـر النصـوص دون تكفـير، وهـو موقـف ناضـج ومتصالـح مـع التعـدد.

المنهج المقارن والبراغماتي

يقـدم ربـط بـين المهديـة ومجمـل حـركات التحريـر العالمـي (بارنيـل، الاشـتراكيين). ويربـط الإسـلام بمبـادئ العدالـة الاجتماعيـة، متجـاوزاً «الاسـتكانة السـلطانية» التـي سـيطرت عـلى الفقـه التقليـدي.

رابعاً: رؤية الكاتب الخاصة

الإمـام الصـادق المهـدي لا يعـرض المهديـة كتاريـخ فقـط، بـل كمنهـج حـيّ قابـل للتطويـر. يـرى فيهـا مشروعـاً متجـدداً يتجـاوز

فكـــرة «الظهـــور» إلى «المســـؤولية»، ويجمـــع بـــين الديـــن، الوطنيـــة، والعدالـــة.

خلاصة الفصل الأول:

المهديـــة عنـــد الإمـــام محمـــد أحمـــد ليســـت نهايـــة الزمـــان، ولا سلســـلة نسـبية مغلقـة، بـل هـي حركـة تجديديـة ترتكـز عـلى القـرآن والسـنة، تنـادي بالعدالـة الاجتماعيـة، وتقـاوم الاسـتعمار والظلـم. وقـد تعرضـت لتشـويه ممنهـج، لكنهـا تركـت إرثـاً إصلاحيـاً لا يـزال حيّـاً، خاصـة عبر تعاليمهـا الاجتماعيـة والروحيـة التـي لا تدعـو للعنـف أو الإكـراه، بـل للتجديـد والتحريـر والعـدل.

المبحث الثاني

المهدية في الطور الثاني، وهو مرحلة ثالثة

المهدية في طورها الثاني متعلقة بعطاء الإمام عبد الرحمن

المطلب الأول (ما ورد في الورقة) :

(بعد هزيمة كرري وأم دبيكرات والشكابة طبق الغزاة إبادة جماعية وقتلوا وأسروا كل من كان له صفة قيادية من خليفة، أو أمير، أو أبناء للمهدي وللخلفاء. والصبي عبد الرحمن أصيب بالرصاص في مجزرة الشكابة وترك ليموت نزيفاً. ولكنه عاش واستطاع بأسلوب حكيم أن يجعل كيان الأنصار أكبر كيان ديني في السودان، وأن يجعل الحزب السياسي الذي أسسه القوة السياسية الأكبر في البلاد وقادها حتى حققت الاستقلال. ومثلما لطخت تاريخ المهدية أقلام الغزاة أصاب سيرة الإمام عبد الرحمن أذى للأسباب الآتية:

أولاً: وحدت المهدية السودان وحررته وأقامت به دولة رسالية فهدمت في سبيل ذلك كثيراً من الكيانات والمصالح فجحدها أصحابها وغمطوا حق كل منتم إليها.

ثانياً: أشعل الإمبرياليون حرباً معنوية هائلة ضد المهدية سبقت واعقبت حملتهم العسكرية لاخضاع السودان. هذه الدعاية الحربية نثرت الشوك في طريق المهدويين.

ثالثاً: انتهج الإمام عبد الرحمن أسلوباً في العمل العام يحمي به جماعته ونشاطه من حكام مستكبرين ومتحفزين ومعادين. هذا الأسلوب اتهمه كثير من رواد الوطنية السودانية التي أشعلها جيل جديد بعد الحرب الأطلسية الثانية، فقاسوا تصرفات الإمام عبد الرحمن بمقاييس أظهرته مستغلاً للمستضعفين ومهادناً للمستكبرين.

رابعاً: الخديوية المصرية على لسان متحدثيها من حكام تعتبر السودان ملكاً لمصر كما قال النقراشي باشا لمجلس الأمن في 1947م، وتعتبر السودانيين مصريين كما قال على ماهر باشا في محاضرته بنادي الخريجين في أم درمان. هؤلاء اعتبروا الإمام عبد الرحمن هو العقبة الوحيدة بينهم وبين تلك الأطماع لذلك كالوا له بالصاع الكبير هدماً وتجريحاً.

ولكن في الأخلاق السودانية تسامح وموضوعية ما لبث كثيرون حتى من أبناء خصوم المهدية أن دفعتهم الموضوعية لتصحيح الصورة مثلما حكى د. حسن أحمد إبراهيم الذي قال في مقدمة كتابه عن المهدية الثانية إنه نقب في الوثائق ليثبت إدانة السيد عبد الرحمن ولكنه عندما اطلع على وثائق الفترة المعنية شاهد حقائق مختلفة تماماً واقتنع أن صاحب السيرة قد استخدم أسلوباً حكيماً لتحقيق مقاصد نبيلة بحيث وصفه بأنه أهم مواطن سوداني في القرن العشرين.

وفي الاحتفال بمئوية مولد الإمام عبد الرحمن في عام 1996م أقدم كثيرون من شتى المشارب على الاعتراف بفضل الإمام عبد الرحمن. وفي هذا المجال عن المهدية في طورها الثاني نقول عن عطاء الإمام عبد الرحمن وصحبه الانجازات السبعة الآتية:

عندما برز دور الإمام عبد الرحمن، راجع بعض مفاهيم المهدية في ثلاثة مجالات مهمة: قبول التعايش مع الجماعات الإسلامية الأخرى، وتعريف الجهاد بصورة مدنية، وتعريف الزهد بالاهتمام بالدنيا على أن تكون في يدك لتستغلها لا أن تكون في قلبك فتستعبدك. عندئذ قيل له لماذا لا تكون طريقة تدعى الرحمانية؟ ولكنه أعرض عن هذا بل أكد الولاء للمهدية مع مراجعتها في المجالات المذكورة.

وبينما الدعوة في مرحلتها الأولى اتخذت موقفاً صارماً من الثقافة الوافدة لدرجة المقولة السودانية الدارجة: الحمرة الأباها المهدي. المهدي لم يرفض اللون بل رفض الأعمال. وفي الإطار الإسلامي العام انقسم المسلمون إلى ثلاث فئات: الذين انبهروا بالحضارة الوافدة ونادوا بالاندماج فيها،

والذيـن رفضوهـا ونـادوا بطردهـا، والذيـن قالـوا بالتوفيـق بـين التأصيـل والتحديـث. وكان الإمـام عبـد الرحمـن مـن أهـم رواد هـذه المدرسـة الثالثـة وقـد أسـس لهـا صروحـاً خالـدة.

وفي نشـاطه العـام يحمـد للإمـام عبـد الرحمـن دوره في بنـاء السـودان الحديـث ففـي كل جوانبـه تظهـر للإمـام بصمـات.

وبنظـرة ثاقبـة أسـس للفصـل بـين الدعـوي، والسـياسي، والاسـتثماري كوجـه مـن وجـوه التحديـث.

ورغـم كل الظـروف اسـتطاع أن يحشـد أوسـع قاعـدة، وأن يتخـذ أكثر الأسـاليب حكمـة لتحقيق اسـتقلال السـودان.

ككل حكـم لا سـيما في ظـروف القـرن التاسـع عـشر تركـت الدولـة المهديـة كدمـات في الجسـم الطائفـي والقبـلي السـوداني. هـذه الكدمـات سـعى الإمـام عبـد الرحمـن ونجـح في علاجهـا.

كان للإمـام عبـد الرحمـن دوراً لا يجـارى في عمـل الخـير سـاهم في بنـاء المسـاجد، وفي تأسـيس المـدارس، وفي نجـدة الغارمـين، وفي البعثـات التعليميـة. في مئويـة ذكـرى مولـده تبـارى حتـى خصومـه في تسـجيل العرفـان بعطائـه- هـذه الأقـوال مسـجلة في كتـاب نـشره أبـو القاسـم محمـد نـور.

وفي الجزيـرة أبـا والهـدى والرحمانيـة والنورانيـة أقـام الإمـام عبـد الرحمـن مدنـاً وقـرى فاضلـة في مقـالي عـن (الإمـام عبـد الرحمـن الصـادق إمـام الدين) والـذي نـشر في الكتـاب الـذي نـشره أبـو القاسـم محمـد نـور تطرقـت لصفـات الصـلاح والشـفافية الروحيـة التـي كانـت للإمـام عبـد الرحمـن والتـي أهملهـا كتـاب سـيرته إذ ركـزوا عـلى عطائـه السـياسي والاقتصـادي.

يؤخـذ عـلى تجربـة هـذه المرحلـة أمـران: همـا ولايـة بعـض غـير المسـتحقين للقيـادة السياسـية. والأمـر الثانـي مـا التبـس عليـه مـن أمـور جعلتـه يؤيـد انقـلاب 17 نوفمـبر 1958م.

ولكنـــه في هـــذا الأمـــر كان كمـــن قصـــد الحـــق فأخطـــاه لا مـــن قصـــد الباطـــل فأصابـــه.

المرحلة الثانية من الطور الثالث للمهدية

هذا يشمل عطاء الإمامين الصديق والهادي:

هـــذه المرحلـــة الثانيـــة مـــن الطـــور الثالـــث الـــذي قـــاده الإمـــام عبـــد الرحمـــن متعلقـــة بمرحلـــة خليفتيـــه الإمـــام الصديـــق والإمـــام الهـــادي.

الإمـــام الصديـــق رفـــد تراثنـــا بموقـــف واضـــح ضـــد انقـــلاب 17 نوفمـــبر 1958م وهـــو موقـــف جســـد موقـــف حـــزب الأمـــة كمؤسســـة سياســـية عارضـــت الانقـــلاب واســـتطاع أن يجمـــع حولـــه في هـــذا الموقـــف كل القـــوى السياســـية الوطنيـــة وكـــون الجبهـــة القوميـــة المتحـــدة التـــي ضمـــت الرئيـــس إســـماعيل الأزهـــري والقـــوى السياســـية ذات المرجعيـــة الإســـلامية والقـــوى اليســـارية بمـــن فيهـــم الحـــزب الشـــيوعي فصـــارت زعامتـــه قوميـــة. تبـــوأ الســـيد الصديـــق خلافـــة والده بالوصيـــة فقـــد كان شريـــكاً لوالـــده في حياتـــه ويـــده اليمنـــى.

وعـــلى فـــراش المـــوت أمـــلي الإمـــام الصديـــق عـــليّ وصيـــة واضحـــة المعالـــم أهـــم مـــا فيهـــا: أن يديـــر شـــؤون الأنصـــار مجلـــس خمـــاسي برئاســـة الســـيد عبـــد اللـــه الفاضـــل وذلـــك مؤقتـــاً إلى حـــين انتخـــاب الأنصـــار إمامـــاً. أي أنـــه جعـــل أســـاس التعاقـــب عـــلى الإمامـــة انتخابيـــاً أي دســـتور تعاقـــب انتخابـــي. والنقطـــة الثانيـــة المهمـــة في وصيتـــه هـــي إلـــزام الكيـــان برفـــض الدكتاتوريـــة في حكـــم البـــلاد والعمـــل مـــن أجـــل الحريـــات العامـــة وحقـــوق الإنســـان مـــا جعـــل هذيـــن المبدأيـــن جـــزءاً لا يتجـــزأ مـــن تـــراث الكيـــان.

المجلـــس الخمـــاسي الـــذي أوصى بـــه الإمـــام الصديـــق قـــرر أن تكـــون الخلافـــة للســـيد الهـــادي فبويـــع إمامـــاً.

الإمـــام الهـــدي امتـــاز عـــلى أقرانـــه مـــن القيـــادات الدينيـــة التـــي في العـــادة تهـــادن ولاة الأمـــر الحـــكام مراعـــاة لمصالحهـــا. لذلـــك حافـــظ عـــلى موقـــف الكيـــان

الرافـض لدكتاتوريـة نظـام 25 مايـو 1969م ومهمـا حـاول النظـام مسـاومته صمـد في وجـه ورفـض اتجاهـات النظـام الانقلابـي. وكان موقفـه مماثـلاً لموقـف خليفـة المهـدي عبـد اللـه بـن محمـد الـذي اختـار الشـهادة ورفـض الاستسـلام.

النظـام الانقلابـي ارتكـب في حـق الإمـام جريمـة حـرب لأنـه قتلـه بعـد أسره وارتكـب جريمـة إبـادة جماعيـة بحملتـه المسـلحة عـلى الأنصـار وحلفائهـم في الجزيـرة أبـا وودنوبـاوي.

مجزرة الجزيرة أبا وود نوباوي هي التي عبأت الأنصار قتالياً ضد النظام الدكتاتوري فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى الخارج إلى أثيوبيا ثم ليبيا. الهجرة الرائعة التي ضربت مثلاً فريداً في الفدائية والتضحية وكانت هذه الهجرة هي رافد انتفاضة 2 يوليو 1976 التي كادت تنجح لولا حدوث اخطاء فنية. ولكنها اثبتت للنظام الحاكم أن بطشها لم يفلح في محو الأرادة الدينية والوطنية ضده ما جعله يسعى للمصالحة الوطنية التي تمت على أساس استرداد الديمقراطية. لكن النظام اخلف وعده ولكن مناخ المصالحة 1977م اتاح الفرصة لقوانا السياسية أن تتحرك في كثير من المواقع بحرية ما فتح المجال للتحركات التي أدت إلى انتفاضة رجب/ أبريل 1985م الظافرة. لقد كان لدم الإمام الشهيد الهادي ودماء شهداء الجزيرة أبا وودنوباوي دوراً مهما في الوقود لتلك الانتفاضة)))))).

المطلب الثاني : القراء التحليلية للورقة في هذا الجزء:

قسم السيد الصادق هذه المرحلة الى مرحلتين : مرحلة الإمام عبد الرحمن المهدي و**مرحلة الإمامين الصديق والهادي** وقد اعتبرها لسيد الصادق المهدي في الورقة «**مرحلة « ثانية من الطور الثالث** ، في تقسيم يؤكد ما ذهبت اليه في تحليلي عند مقدمة هذا الفصل من أن **السيد الصادق المهدي يستخدم مصطلح الطور عن وعي وإدارك كبيرين .**

وفيما يلي **القراءة التحليلية المفصلة** لهذا الجزء، **وفق ذات المنهج التحليلي الذي اتبعناه:**

ثم المرحلة الثانية من الطور الثالث: الصديق والهادي:

أولاً: الملخص العام للفصل:

ينتقل الإمام الصادق المهدي في هذا الفصل للحديث عن **الطور الثاني من المهدية**، والذي يبدأ بعد سقوط الدولة المهدية في كرري، ويقوده الإمام **عبد الرحمن المهدي**، الذي استطاع رغم القمع الاستعماري أن يعيد بعث الحركة المهدية **كدعوة سلمية إصلاحية**، ترتكز على:

- التسامح الديني،
- الانفتاح على الحضارة،
- الجمع بين الدعوة والسياسة والاقتصاد.

ثم ينتقل الإمام الصادق المهدي إلى **الطور الثالث** ويقسمه إلى مرحلتين:

- الأولى بقيادة الإمام عبد الرحمن (ضمن الطور الثاني)،
- والثانية بقيادة الإمام الصديق، ثم الإمام الهادي.

يبرز الصادق المهدي أن هذه المراحل قدمت **مساهمات ضخمة لبناء السودان الحديث** سياسياً، روحياً، واجتماعياً، مع الاعتراف ببعض الأخطاء والتحديات التي واجهتها.

ثانياً: المحاور والأفكار الرئيسة:

عطاء الإمام عبد الرحمن المهدي

- نجا من مذبحة الشكابة، وبدأ ببناء كيان الأنصار تحت واقع استعماري معادٍ.

- أعاد إحياء المهدية من خلال مراجعات فكرية، فـ:
  - **قبل التعايش** مع التيارات الإسلامية الأخرى.
  - **أعاد تعريف الجهاد** ليصبح سلمياً ومدنياً.
  - **أعاد تعريف الزهد** ليجمع بين الدنيا والدين (الدنيا في اليد لا القلب).
- رفض إنشاء طريقة صوفية جديدة (الرحمانية)، وأصر على الانتماء للمهدية.
- تبنّى **مدرسة التوفيق بين التأصيل والتحديث**، ورفض الانبهار أو الانغلاق.
- أسهم في بناء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والدينية.
- فصل بين العمل الدعوي والسياسي والاقتصادي.
- ساهم في علاج جراحات الماضي (مثل كدمات الطائفية والقبلية بعد الدولة المهدية).
- سجل إنجازات في العمل الخيري، والعمران، والتعليم.

الانتقادات التي وُجهت له:

- اتهامه بمهادنة المستعمر.
- اتهامه بدعم انقلاب 17 نوفمبر 1958.
- الإمام الصادق يرد بأن الإمام عبد الرحمن **أخطأ بحسن نية** ولم يقصد مصلحة ذاتية.

المرحلة الثانية من الطور الثالث: الإمام الصديق والإمام الهادي

الإمام الصديق:

- ورث القيادة بوصية من الإمام عبد الرحمن، وكان شريكاً له.
- رفض انقلاب 17 نوفمبر 1958 علناً، وجمع القوى السياسية كافة في **الجبهة القومية المتحدة**.

- أوصى بتكوين مجلس خماسي يدير شؤون الأنصار مؤقتاً حتى يُنتخب الإمام انتخاباً، وهي سابقة دستورية مهدوية.
- أوصى بالوقوف ضد الدكتاتورية والعمل من أجل الحريات العامة.

الإمام الهادي:

- خلف الإمام الصديق بقرار المجلس الخماسي.
- واجه نظام مايو الدكتاتوري (1969) بصمود نادر.
- لم يساوم، ورفض كل عروض النظام.
- اغتيل بعد أسره، مع ارتكاب النظام جرائم إبادة بحق الأنصار في الجزيرة أبا وود نوباوي.
- شكلت مجازر أبا وودنوباوي وقوداً لنشوء المقاومة والانتفاضات ضد النظام (1976 ثم انتفاضة 1985).
- الهجرة إلى ليبيا وأثيوبيا مثلت نموذجاً نادراً للتضحية والفداء.

ثالثاً: التحليل النقدي للمحتوى ، إيجابيات الفصل:

1. **توثيق تاريخي متماسك** لسيرة الإمام عبد الرحمن وتجديده للمهدية كقوة سلمية إصلاحية.
2. **رؤية نقدية من الداخل** تعترف بالهفوات ولا تبررها بتقديس.
3. **تفكيك الهجمة الاستعمارية الإعلامية** على المهدية بشكل علمي ومنهجي.
4. **فهم واقعي معاصر** لتطور الفكرة المهدوية من ثورة مسلحة إلى تيار مدني سياسي دعوي.
5. عرض مواقف **بطولية** للإمامين الصديق والهادي، خاصة في مقاومة الانقلابات.

ملاحظات نقدية:

- الفصل مزدحم بالأحداث، وكان يمكن تفصيل كل مرحلة في قسم مستقل.
- رغم الإنصاف، غلب على العرض الطابع الدفاعي خاصة في تبرير مواقف الإمام عبد الرحمن، خصوصاً دعمه لانقلاب نوفمبر.
- لم يُفصل كثيراً في الجانب الفكري والتربوي للمهدية في هذه المرحلة، مقارنة بالمجال السياسي.

يمثل هذا الفصل مرحلة **النضج السياسي والاجتماعي والفكري** في مسار المهدية. فبعد الطور الأول الثوري بقيادة الإمام محمد أحمد، جاء الطور الثاني بقيادة عبد الرحمن المهدي ليعيد بناء المهدية على أسس واقعية، سلمية، منفتحة، ثم جاء الصديق والهادي ليؤكدا على **الربط بين الدين والحرية وحقوق الإنسان**، ويدفعا ثمن ذلك من دمائهما.

المهدية هنا لم تعد فقط دعوة دينية أو حركة مسلحة، بل أصبحت **رؤية قومية شاملة** لإصلاح المجتمع والدولة، تنفتح على الحداثة ولكن دون الذوبان، وتتمسك بالدين دون الجمود، وتقاوم الاستبداد دون مساومة.

المبحث الثالث

المهدية: الطور الرابع

المهديــة ليســت انتظــاراً مخلصــاً في آخــر الزمــان، بــل هــي اســتجابة تاريخيــة وظيفيــة لحاجــة الأمــة إلى الخــلاص وإحيــاء الديــن، كمــا جســدها الإمــام محمــد أحمــد في القــرن التاســع عــشر، والإمــام عبــد الرحمــن في القــرن العشريــن، والدعــوة الآن إلى اســتمرارية هــذا «الــدور الوظيفــي» لا تكــرار شــخصي..

المطلب الأول : النص الوارد في الورقة

(لقــد نفينا عــن المهدية التــي دعا بها الإمــام محمد أحمــد المهدي أية صلــة بمهدية محمد الحســن العســكري الشــيعية، وأية صلة بمهديــة آخر الزمان الســنية، وأكدنا أن دعوتــه هــي مهدية وظيفية اســتجابة للحاجــة للخلاص وإحياء الملــة. قال الإمام المهــدي أن دعوتــه هي لإحيــاء الدين وتقويم الســنة وفي عبارة أخــرى أن دعوته هي لإحياء الكتاب والســنة.

عــلى هــذا النمــط وصفــت الدعــوة المهديــة في المرحلــة الأولى بأنهــا كانــت تجســد تطلعــات أهــل القبلــة في زمانها على حد تعبــير د. عبد الودود شــلبي. وقلنــا إن هذا الــدور الوظيفــي كان حــاضراً في المرحلــة الثانيــة في وظيفــة التوفيق بــين التأصيل والتحديــث، الدعــوة التــي نــادى بها كثــيرون خلافــاً لدعــاة الاندمــاج في الحضارة الوافــدة مــن الخــارج، وخلافــاً لدعــاة الاندمــاج في الوافــد مــن المــاضي، والتزامــاً بالتوفيــق بــين التأصيــل والتحديــث الــذي دعــا له نظريــاً كثــيرون أمثال الشــيخ جمــال الديــن الأفغانــي ومحمــد عبــده وابــن باديــس وغيرهــم، وهــو نهــج طبقه الإمــام عبــد الرحمــن عملياً مجســداً نهــج التوفيــق بــين التأصيــل والتحديث.

فما هو الدور الوظيفي للدعوة في حاضر القرن الواحد وعشرين الميلادي؟

مـاذا سـتكون رسـالة الدعـوة في الحـاضر والمسـتقبل وتصبـح أنموذجـاً للصحوة في الحاضر والمســتقبل؟

للإسلام بين الملل تميز عظيم:

رسوله المؤسس وحده بين الرسل أسس ديانة عالمية ودولة أممية.

كتابه المقدس – القرآن- بين الكتب المقدسة مجمع على النص بين دفتيه.الحضارة التي أسستها الرسالة المحمدية تفوقت على العالم العمور في أطوراها العربية، والتركية، والفارسية، والهندية، والأندلسية لمدة ألف عام من القرن السابع الميلادي حتى القرن السابع عشر.

ومع هيمنة الحضارة الغربية الحديثة على العالم فإن للحضارة الإسلامية دوراً في صحوة أوربا من ظلمة عصرها الوسطى إلى فجر الحضارة الحديثة.

وكما قال محمد أسد النمساوي اليهودي الذي صار داعية إسلامي: رغم العقبات التي خلقها تخلف المسلمين فالإسلام هو أعظم مستنهض للهمم عرفه البشر.

هذا النور المبين تسلطت عليه عوامل تجريف أبطلت دوره المأمول كطليعة للتنمية الإنسانية هي:

أولاً: بعد فترة الاستنارة الاجتهادية هيمن التقليد حتى صار الدين هو التقليد ما جعل الأمة مرتهنة للماضي على نحو مقولة جوهرة التوحيد:

وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الأَئِمَّهْ كَذَا أَبُو الْقَاسِمْ هُدَاةُ الأُمَّهْ

فَوَاجِبٌ تَقْلِيدُ حِبْرٍ مِنْهُمُ كَذَا قضى القَوْمُ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ

ثانياً: بعد نشاط الفلاسفة وانتعاش مذهب المعتزلة العقلاني تغلبت عوامل غيبت العقل البرهاني على نحو مقولة:

العلمُ ما كانَ فيه قال حدثنا َمَا سِوى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ

ثالثـاً: تحـول نظـام الحكـم إلى اسـتبداد متـوارث يحكمـه التغلـب عـلى نحـو مـا قـال ابـن حجـر العسـقلاني: "لقـد اجمـع الفقهـاء عـلى وجـوب طاعـة المتغلـب والقتـال معـه".

رابعاً: استبد الظلم الاجتماعي على نحو مقولة:

مهـر الفتـاة بألـف ألـف كامـل وتبيـت سـادات الجيـوش جياعا
لـو لأبـي حفـص أقـول مقالتـي وأقـص شـأن حديثهـم لأرتاعـا

خامسـاً: ومنـذ الفتنـة الكـبرى تفرقـت الأمـة أيـدي سـبأ وصـار بـأس الفـرق والمذاهـب بينهـم شـديداً وتنابـذوا بالألقـاب: روافـض ونواصـب، بـل كفـروا بعضهـم بعضـاً، وتفـشى الغلـو والتعصـب ليقلـب مقولـة: "الْمُسْـلِمُ أَخُـو الْمُسْـلِمِ"[13] إلى: المسـلم عـدو المسـلم. حـدة العـداء بـين الفـرق الإسـلامية جعـل أعـداء الأمـة الإسـلامية يراهنـون عـلى هـذا العـداء لتمزيقهـا.

سادسـاً: أوربـا التـي كانـت بالقيـاس متخلفـة اسـتيقظت، وعـبر ثلاث ثـورات: ثـورة ثقافيـة حققـت حريـة البحـث العلمـي والتكنولوجـي، وثـورة اقتصاديـة حققـت التنميـة، وثـورة سياسـية حـررت الشـعوب مـن الاسـتبداد؛ تمكنـت الـدول الأوربيـة مـن التفـوق عـلى العالـم المعمـور وأخضعتـه لسـلطانها. هكـذا صـارت الأمـة مرتهنـة للوافـد مـن الخـارج. حالـة الأمـة جعلتهـا جاذبـة للاحتـلال الأجنبـي.

وحتـى بعـد رحيلـه فـإن تفـوق فكـره وثقافتـه بهـر كثيريـن مـا جعـل عميـد الأدب العربـي نفسـه يقـول: علينـا الانخـراط في الغـرب بخـيره وشره لأنـه يمثـل مسـتقبل الإنسـانية. هـذا مـا قالـه د. طـه حسـين فيمـا نـشر عـن مسـتقبل الثقافـة في مـصر.

سـابعاً: الـدول التـي تديـر بـلاد المسـلمين غالبـاً دول هشـة تعتمـد غالبـاً عـلى القمـع الأمنجـي وفي غيـاب نظـم حكـم تقـوم عـلى المشـاركة والمسـاءلة والعدالـة الاجتماعيـة فـإن نظـم الحكـم غالبـاً محـاصرة مـن ثـورات شـعبية قادمـة أو حـركات غلـو إرهابـة متحفـزة. وصفـت الحالـة بمقولـة: " آفـة الـشرق حاكـم

معبود وشعوب تذلهن قيود". حالة تستدعى الثورة عليها بحركات شعبية تقفز إلى الإمام أو حركات جهادوية تقفز إلى الوراء.

ثامناً: وينظم العلاقات الدولية نظام الأمم المتحدة ناقص العدالة المكون في غيبة أكثرية دول العالم، عندما اتفق على تكوينه كان عدد الدول الأعضاء 51 بينما الدول الأعضاء الآن 193، وكان لدول حلفاء الحرب العالمية الثانية الخمس هيمنة على النظام، لذلك ميزوا دولهم بحق النقض في مجلس الأمن. الخمس دول دائمة العضوية في مجلس الأمن يحتكرون السلطة، ودول كبيرة غير مميزة: الهند، اليابان، ألمانيا، البرازيل. ولا تحظى بالعضوية الدائمة أية دولة إسلامية مع أن عددهم يزيد عن 50 ولا أية دولة أفريقية مع أن عددهم 54 ولا أية دولة عربية مع أن عددهم 22.

وظيفة الخلاص والإحياء في هذه المرحلة تتطلب أن يكون للإسلام دور الطليعة في التنمية الإنسانية أو أن مسيرة الإنسانية سوف تستمر باجتهادات وضعية ويصير للإسلام وجود متحفي. التنمية الإنسانية المستدامة تتعلق بأربع غايات هي: دوام النوع البشري، وتحسين نوع الحياة، وترسيخ قيم التضامن بين البشر، وتوفيق المعادلة بين العقل وما فوق مدركاته.

استحقاقات أن يكون للإسلام دورٌ خلاصي إحيائي هي:

أولاً: ينبغي قيام صحوة ثقافية تدرك أن حقيقة الوجود تنقسم إلى حقاق فوق مدارك العقول وحقائق تدركها العقول. ينبغي تعميد العقل في كل مجال إدراكه وهو الطبيعة التي تسخرها سنن راتبة في علوم الطبيعة، والعلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية. إن المرجعية لمعرفة هذه السنن إلى العقل. المسائل التي تقع فوق إدارك العقول هي التي مصدرها الوحي والإلهام. العقل عمدة في مجال مدركاته.

ثانياً: فيما يتعلق بنصوص الوحي في القرآن والسنة نقول: إن القرآن قطعي الورود ولكن ليس قطعي الدلالة ولمعرفة هدايته تتبع المطالب الآتية:

معرفة أن النص حمال أوجه ولا نكون كالذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً، بل الواجب تدبر القرآن: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[14].

النص القرآني (مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[15]. هذا هو معنى المثاني أي مقاصده وبموجب المقاصد تقاس الآيات. مثلاً، هنالك آيات تدل على الاختيار وآيات تدل على الجبر.

مكارم الأخلاق من مقاصد الشريعة والجبر يعفي المكلف من المسؤولية الأخلاقية. ما يعني أن آيات الاختيار هي المحكمة وهلم جرا.

كذلك هنالك آيات يعارض ظاهرها حقائق علمية مثلاً: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)[16]. التأويل هنا كما قال الرازي بحسب رأي العين.

وهنالك آيات تغيرت الظروف التي أوجبتها كسهم المؤلفة قلوبهم وكملك اليمين والرق وإطلاق يد صاحب الدم لأخذ حقه بيده، وهلم جرا. في هذا المجال على الفقيه أن يعرف الواجب اجتهاداً لا تقليداً ويحيط بالواقع ثم يزاوج بينهما.

وفيما يتعلق بنصوص أحاديث السنة فكما قال النووي لا يكاد يوجد حديث متواتر، وقال الشاطبي في الاعتصام قد أعذر أن يوجد حديث متواتر. ولكن السنة العملية مثل كيفية الصلاة تواترت باتباعها.

الأحاديث القولية تغربل بضوابط مثلاً:

أحاديث عذاب الميت بالبكاء عليه تتعارض مع قوله: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)[17].

ألا تتعارض مع مقاصد الشريعة مثل أحاديث إهانة أهل الكتاب ومن مقاصد الشريعة أن نعاملهم بالحسنى، أو أحاديث اضطهاد النساء مثل "النساء لعب شاوروهن وخالفوهن" والصدق من مقاصد الشريعة.

وألا تتعــارض مــع العلــم مثــلاً: منــع تأبــير النخــل. ومقولــة إن ذكــورة وأنوثــة الجنــين يحددهــا إذا عــلا مــاء الرجــل أو مــاء المــرأة.

ألا تتعــارض مــع الواقــع مثــل أحاديــث تشــير لصبــي وتقــول إذا عــاش حتــى هــرم يــدرك قيــام الســاعة.

وألا تتعــارض مــع العقــل، مثــلاً: روايــات كثــيرة في البخــاري أن النبــي صــلى اللــه عليــه وســلم وضــع يــده في إنــاء فجعــل المــاء ينبــع مــن أصابعــه، وأن الجــذع خاطبــه، وأنــه خاطــب صناديــد قريــش وهــم في القبــور. هــذه تناقــض العقــل وتناقــض القــرآن: (وَمَــا مَنَعَنَــا أَن نُّرْسِــلَ بِالْآيَــاتِ إِلَّا أَن كَــذَّبَ بِهَــا الْأَوَّلُــونَ)[18]. وقولــه: (مَــا أَنــتَ بِمُسْــمِعٍ مَّــن فِي الْقُبُــورِ)[19].

وألا يكــون الحديــث شــاذاً مثــلاً: "كان النبــي صــلى اللــه عليــه وســلم يَطُــوفُ عَــلَى نِسَــائِهِ فِي اللَّيْلَــةِ الْوَاحِــدَةِ وَلَــهُ يَوْمَئِــذٍ تِسْــعُ نِسْــوَةٍ"[20]. وهنالــك حديــث نبــه عــلى نبــذ الأحاديــث الشــاذة في مســند أحمــد المجلــد الثالــث قــال النبــي صــلى اللــه عليــه وســلم: "إِذَا سَــمِعْتُمُ الْحَدِيــثَ عَنِّــي تَعْرِفُــهُ قُلُوبُكُــمْ، وَتَلِــينُ لَــهُ أَشْــعَارُكُمْ، وَأَبْشَــارُكُمْ، وَتَــرَوْنَ أَنَّــهُ مِنْكُــمْ قَرِيــبٌ فَأَنَــا أَوْلَاكُــمْ بِــهِ، وَإِذَا سَــمِعْتُمُ الْحَدِيــثَ عَنِّــي تُنْكِــرُهُ قُلُوبُكُــمْ، وَتَنْفِــرُ مِنْــهُ أَشْــعَارُكُمْ وَأَبْشَــارُكُمْ، وَتَــرَوْنَ أَنَّــهُ مِنْكُــمْ بَعِيــدٌ فَأَنَــا أَبْعَدُكُــمْ مِنْــهُ"[21]. لذلــك روى البخــاري أن الإمــام عــلي قــال: "حَدِّثُــوا النَّــاسَ بِمَــا يَعْرِفُــونَ، أَتُرِيــدُونَ أَنْ يُكَــذَّبَ اللَّــهُ وَرَسُــولُهُ؟"[22].

كذلــك ينبغــي أن تعــرف تواريــخ الأقــوال المنســوبة للرســول صــلى اللــه عليــه وســلم لأن اللاحــق ينســخ الســابق وهــي في الكتــب غــير مرتبــة بتاريخهــا.

كان اجتهــاد الفقهــاء لاســتنباط الأحــكام خصبــاً وأثمــر عــدداً مــن المذاهــب أهمهــا ثمانيــة: الحنفــي، والمالكــي، والشــافعي، والحنبــلي، والجعفــري، والزيدي، والأبــاضي، والظاهــري. وهــي عــلى اتفــاق عــام حــول المســائل الشــعائرية العباديــة وعــلى اختلافــات واســعة فيمــا عداهــا.

ينبغــي اعتمــاد التعايــش بــين المذاهــب، واعتبارها غــير ملزمــة، وإســناد التشريع لمؤسســة تشريعيــة تكــون عــلى أســاس المشــاركة الحــرة وتلــم بالواجــب اجتهاداً

وبالواقع إحاطة وتزواج بينهما. ويراعى في تشريع الأحكام: مقاصد الشريعة، والعقل، والواقع، والمنفعة، والأولويات، والتدرج، وتستصحب كل النظم العدالية مهما كان مصدرها، فمهما تحقق به العدل فهو شرع الله ودينه حتى إذا لم يرد به النص، ففي نهج النبوة والخلفاء الراشدين استصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لخطة الحباب بن المنذر في بدر ولرؤية سلمان الفارسي في حفر الخندق، وجمع الصحابة للمصحف. واتلاف النسخ المخالفة وفيما يتعلق بقابلية الإسلام لاستصحاب المعقول والنافع الوافد قال الشيخ محمد مصطفى المراغي: قدموا لي أي شيء ينفع الناس وأنا أنبئكم بسنده في الشريعة.

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كتبت في كثير من الأحيان بصورة تجاري عسكرية العهد القديم اليهودي، وتجاري معجزية العهد الجديد المسيحي، هذه المجاراة غير مشروعة فالنبي صلى الله عليه وسلم حقق أهم منجزاته بصورة سلمية. هكذا أسس للكيان الإسلامي في المدينة سلمياً، وهكذا استمال الجزء الأكبر من الجزيرة العربية أثناء عامي الحديبية، والمعارك الحربية بين المسلمين والمشركين كانت من الناحية العسكرية سجالاً ما لا يبرر وصف السيرة بالمغازي. وكان فتح مكة سلمياً.

والسيرة رائعة الأداء بحكم السنن الإنسانية والاجتماعية بلا حاجة لمجاراة ما ظهر في سيرة السيد المسيح عليه السلام.

وعندما تطرق عالم أمريكي، مايكل هارت، لعظماء التاريخ كلهم اختار النبي محمد صلى الله عليه وسلم الأول بينهم.

يجب ألا نشوه السيرة المحمدية بمجاراة العهد القديم اليهودي، ومجاراة العهد الجديد المسيحي، وأن نعيد قراءة السيرة النبوية على أساس السنن الإنسانية والاجتماعية. هذا لن يسلبها صفتها بأنها أروع قصة شهدتها البشرية. سيرته معجزة بمعنى أنها لا تجارى.

بعـد الصحـوة الفكريـة المنشـودة، والقـراءة المتجـددة للنصـوص كمـا تحـدد يعـاد الاجتهـاد في كافـة مطالـب الحيـاة. بهـدف واضـح هـو الاتجـاه الإسـلامي طليعـة للتنميـة الإنسـانية في العـصر الحديـث.

إن لهـذا التطلـع التزامـات في المجـالات الإنسـانية تتطلـب موقفـاً إيجابيـاً واضحـاً مـن منظومـة حقـوق الإنسـان وفي هـذا الصـدد قـد أوضحـت أن حقوق الإنسـان كلهـا تنطلـق مـن خمسـة مبـادئ هـي: الكرامـة، والعدالـة، الحريـة، المسـاواة، السـلام. وقـد نـشرت كتابـين بعنـوان: الإعـلان العالمـي لحقـوق الإنسـان مـن منظـور إسـلامي في عـام 1998م، وكتـاب آخـر بعنـوان: الإنسـان بنيـان اللـه، أكـدت فيـه إلزاميـة حقـوق الإنسـان بتفاصيلهـا الحديثـة مـن المصـادر الإسـلامية، وبينـت أن الاسـلام إنمـا يدعـم الالتـزام بهـا بمـا يوفـر لهـا مـن أسـاس روحـي وجـزاء أخـروي.

مأخذنـا عـلى معاهـدة سـيداو أنهـا مبنيـة عـلى النفـي إزالـة بينمـا الصحيـح أن تبنـى عـلى الإيجـاب:

كفالـة حقـوق المـرأة الإنسـانية والإيمانيـة والمواطنـة. هنالـك ممارسـات تقـول بهـا الثقافـات الغربيـة تتعـارض مـع الفطـرة وأخـرى ليسـت حقوقـاً بالفهـم الصحيـح بـل أفرزتهـا ثقافـات غربيـة. هـذه الجوانـب لا نقرهـا بـل نقـر كلمـا مـن شـأنه كفالـة حقـوق المـرأة إنسـانياً، وإيمانيـاً، وسياسـياً، واقتصاديـاً، كمـا نلتمـس لهـذا الانصـاف أساسـاً روحيـاً واخلاقيـاً مـن نصـوص الوحـي القطعيـة وبموجبهـا نسـقط النصـوص المتشـابهة.

هـذه هـي المفاهيـم التـي قررتهـا ورشـة عقدتهـا هيئـة شـؤون الأنصـار في عـام 2004م.

وفي كتابـي عـن "حقـوق المـرأة الإسـلامية والإنسـانية" أضفـت ملحقـاً بمدونـة جديـدة للأحـوال الشـخصية تنـادي بالمسـاواة بـين الجنسـين في الحقـوق والواجبـات. صحيـح في بعـض النصـوص الدوليـة اعتبـار المثليـة الجنسـية حقاً مـن حقـوق الإنسـان ولكننـا قلنـا ونؤكـد مقولـة كانـط عـن المقيـاس الأخلاقـي

أن يكـون السـلوك المقبـول هـو الـذي يجـد قبـولاً إذا طبـق عـلى كل أو عمـوم المجتمـع. هـذا يمنـع المثليـة الجنسـية. هـذه حجـة عقليـة تدعـم المبـدأ الدينـي منهـا.

ولهذا التطلع التزامات في المجال الاجتماعي كالآتي:

الخلافـة كنظـام للحكـم بـدأ بخلافـة أبـي بكـر (رض) وقـد قامـت بحكـم الأمر الواقـع الـذي سـماه عمـر (رض) فلتـة. وأدى الخـلاف حـول الخلافـة بعـد ذلـك إلى الفتنـة الكـبرى وإلى أيلولـة أمـر الخلافـة للمغالبـة بالسـيف عـلى نحـو مـا قـال الشهرسـتاني: مـا سـل سـيفٌ في الإسـلام مثلمـا سـل في أمـر الإمامـة. لذلـك كان تاريـخ الإمامـة دمويـاً سـالت دمـاء ثلاثـة مـن الخلفـاء الراشـدين اغتيـالاً وخمسـة مـن خلفـاء بنـي أميـة و12 مـن الخلفـاء العباسـيين. لا الولايـات بـلا مشـاركة ولا التغلـب يناسـبان مبـادئ الإسـلام السياسـية. كذلـك جمـع سـلطات الدولـة في يـد واحـدة ينـافي العدالـة المنشـودة وكمـا قـال ابـن القيـم: حيثمـا كان العـدل فثـم شرع اللـه ودينـه.

إن العدالـة في إدارة الشـأن العـام تتطلـب إقامتهـا عـلى المشـاركة، والمسـاءلة، والشـفافية، وسـيادة حكـم القانـون.

أمـا اتحـاد المسـلمين في دولـة واحـدة فقـد كان في الصـدر الأول وفي العهـد الأمـوي ثـم بعـد ذلـك تعـددت الـدول القطريـة.

والآن المسـلمون يعيشـون في 55 دولـة وثلثهـم يعيشـون أقليـات في دول أغلبيتهـا غـير مسـلمة.

لا يرجـى توحيـد دول المسـلمين اختاريـاً أو بالقـوة. الخيـار الممكـن هـو أن يكـون لـدول المسـلمين أسـاس راشـد للحوكمـة و أن ترتبـط تلـك الـدول بنظام تعاهـدي.

فيمـا يتعلـق بالعلاقـات مـع الـدول الأخـرى ينبغـي التخلي عـن التقسـيم القديم بـين أرض سـلام وأرض حـرب بـل تقـوم العلاقـات الدوليـة عـلى التعاهـد الـذي

يقـوم عــلى (لَّا يَنْهَاكُـمُ اللَّـهُ عَـنِ الَّذِيـنَ لَـمْ يُقَاتِلُوكُـمْ فِي الدِّيـنِ وَلَـمْ يُخْرِجُوكُـم مِّـن دِيَارِكُـمْ أَن تَبَرُّوهُـمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَيْهِـمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ يُحِـبُّ الْمُقْسِـطِينَ)[23].

نظـام الأمـم المتحـدة الحـالي أسـاس جيـد ولكنـه ناقـص العدالـة مـا يتطلـب إصلاحـاً عداليـاً.

مبـادئ الإسـلام السياسـية تسـمح بهذه الاجتهـادات فـلا يوجد نظـام حكم معين يوجبـه الإسـلام وحجـة الذيـن يقولـون بالحاكميـة وأن الإسـلام هـو الحكـم إنما يدعـون لثيوقراطيـة غريبة على الإسـلام فقد قال الخـوارج: إن الحكـم إلا لله، وقال الإمـام عـلي (رض): هـذه كلمـة حـق أريـد بهـا باطـل لأن الإمـرة أي ولايـة الأمر مصلحـة مرسـلة يحددها المسـلمون لتحقيـق مقاصد الإسـلام السياسـية. وأفضل ما يحققها نظام يقوم على المشـاركة والمسـاءلة والشـفافية وسـيادة حكـم القانون كمـا جـاء في خطبة أبى بكـر الصديـق عندما بويـع خليفة إذ قـال: "وُلِّيـتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْـتُ بِخَيْرِكُـمْ (ولاية قررها المسـلمون مشـاركة)، فَإِنْ أَحْسَـنْتُ فَأَعِينُونِـي، وَإِنْ أَسَـأْتُ فَقَوِّمُونِـي (مبدأ المسـاءلة)، الصِّدْقُ أَمَانَـةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ (مبدأ الشـفافية)، وَالضَّعِيـفُ فِيكُـمْ قَـوِيٌّ عِنْدِي حَتَّـى أُرِيحَ عَلَيْـهِ حَقَّهُ إِنْ شَـاءَ اللَّهُ، وَالْقَـوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيـفٌ عِنْـدِي حَتَّـى آخُذَ الْحَـقَّ مِنْهُ إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ (مبدأ سـيادة القانون)".

لذلـك لا مـبرر لفئـة تدعي التحـدث باسـم الله وتعتـبر ولايتهـا ولاية اللـه وأن من خالفهـا خـارج عن ملة الإسـلام. لا يجوز لأحـد أن يجزم أن اجتهاده هـو قرارإلهي فقـد قـال النبي صلى الله عليه وسـلم لقائد السرية كمـا روى مسـلم: وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْـلَ حِصْـنٍ فَـأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُـمْ عَـلَى حُكْمِ اللَّهِ فَـلَا تُنْزِلْهُمْ عَـلَى حُكْمِ اللَّـهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُـمْ عَـلَى حُكْمِكَ فَإِنَّـكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيـبُ حُكْمَ اللَّـهِ فِيهِمْ أَمْ لَا؟

وقـال أبـوذر لمعاويـة لا تقل في أمـر مال المسـلمين مال اللـه بل مال المسـلمين لكي يكون عرضة للمسـاءلة. لذلك لا يقال إسـلام سـياسي بل سياسـة إسـلاميين.

إدعاء أية فئة أنها تمثل حاكمية الله باطل.

الحاكميـة بالمعنـى الكونـي للـه، أمـا بالمعنـى السـياسي فهـي للأمـة وإلا صارت ثيوقراطيـة غريبـة عـلى الإسـلام .مقـولات الانكفـاء الماضـوي التـي تقـول: مـا

لـم يعرفـه البدريـون فليـس بديـن“ تفتـح بـاب الغلـو والتكفـير كذلـك مقولـة المرحـوم سـيد قطـب: ليـس عبـد اللـه وحـده مـن يتلقـى الشرائـع القانونيـة مـن سـوى اللـه.

وفي المجـال الاقتصـادي توجـد مبـادئ اقتصاديـة عامـة ولكـن لا يوجـد نظـام اقتصـادي إسـلامي.

الاقتصـاد علـم اجتماعـي فيمـا يتعلـق بقوانينـه أمـا فيمـا يتعلـق بأهدافـه فهـو يتطلـب أهدافـاً مثـل التنميـة، والعدالـة الاجتماعيـة، والاسـتثمار، والتجارة وغيرهـا.

موقـف مجتمعـات المسـلمين اليـوم معيـب مـن ناحيـة تحقيـق التنميـة ومعيـب مـن ناحيـة تحقيـق العدالـة الاجتماعيـة ففـي المتوسـط يملـك 10% مـن السـكان 90% مـن الثـروات مـا يتطلـب إقامـة نظـم اقتصاديـة موجهـة لتحقيـق التنميـة والعدالـة الاجتماعيـة.

والنظـام الاقتصـادي العالمـي الحـالي في ظـل العولمـة أكثـر اسـتقطاباً بـين 1% مـن السـكان والآخريـن. قـدرت أوكسـفام أن 1% مـن سـكان الأرض يملكـون أكثـر مـن نصـف مـا يملـك الآخـرون. العولمـة هـي ظاهـرة انتجتهـا ثـورة الاتصـالات والمعـارف ولكـن في واقـع هيمنـة دول معينـة صـارت أداة هيمنـة وصـارت مهـددة للخصوصيـات الثقافيـة. هـذا يتطلـب التجـاوب مـع إيجابياتها والحمايـة مـن سـلبياتها.

الوضـع الاقتصـادي داخـل بلـدان المسـلمين وفيمـا بينهـم وبـين العالـم ظالـم، ولا يمكـن أن يسـتقر لمـا فيـه مـن خلـل في توزيـع الثـروات والدخـول. بـل يمثـل وضعـاً اجتماعيـاً متفجـراً ورسـالة الخـلاص والإحيـاء معنيـة بإصلاحـه جذريـاً. نـشرت في عـام 1989م كتابـاً بعنـوان ”تحديـات التسـعينيات“ قلـت فيـه أنـه بعـد زوال الاسـتقطاب بـين الغـرب والـشرق بعـد هـدم حائـط برلـين فـإن الاسـتقطاب القـادم هـو بـين شـمال الكـرة الارضيـة الغنـي وجنوبهـا الفقـير وان مـا في الجنـوب مـن مظالـم سـوف يفـرخ أسـلحة الـضرار السـبعة

وهـــي الإرهـــاب، والهجـــرة غـــير القانونيـــة، والانفجـــار الســـكاني، والتلـــوث الصحـــي، والتلـــوث البيئـــي، وانتشـــار الاســـلحة بصـــورة غـــير منضبطـــة بمـــا في ذلـــك أســـلحة الدمـــار الشـــامل ، والحـــروب الأهليـــة.

وقلـــت إن هـــذه الحـــالات ســـوف تعـــبر الحـــدد نحـــو نصـــف الكـــرة الشـــمالي ولا تجـــدي معهـــا الوســـائل الأمنيـــة وحدهـــا ولا بـــد مـــن إزالـــة الأســـباب لا مجـــرد معالجـــة الاعـــراض. وهـــا هـــي هـــذه الحقائـــق الآن ماثلـــة للعيـــان.

قلنـــا إن المهديـــة عـــلى يـــد الإمـــام المهـــدي لـــم تعـــد أمـــراً مرتبطـــاً بشـــخص يعـــود بعـــد قـــرون، ولا بشـــخص يأتـــي آخـــر الزمـــان ولكنهـــا مرتبطـــة بوظيفـــة الخـــلاص والإحيـــاء ومـــا حددنـــا هنـــا مـــن شروط للخـــلاص والاحيـــاء الآن.

ولكن إذا اتضحت معالم الواجب فمن الذي سوف يتصدى لهذه الرسالة؟

الإمـــام المهـــدي تصـــدى للأمـــر في ظـــروف القـــرن التاســـع عـــشر وجســـد تطلعـــات أهـــل القبلـــة يومئـــذٍ، ودعـــم موقفـــه بخصوصيـــات غيبيـــة.

والإمـــام عبـــد الرحمـــن تصـــدى لواجـــب التوفيـــق بـــين الـــتأصيل والتحديـــث عملياً فجســـد تطلعـــات المصلحـــين في القـــرن العشرين.

والآن المشـــهد مســـتعد لاســـتقبال مـــن تؤهلهـــم الظـــروف الذاتيـــة والموضوعيـــة لتجســـيد تطلعـــات أهـــل القبلـــة في يومنـــا هـــذا.

بالنســـبة لنـــا كمجتمعـــات ذوات وجـــود إســـلامي، عربـــي، أفريقـــي، آســـيوي، وأوربـــي، وأمريكـــي ذات ثقافـــات متعـــددة وقـــد تعرضـــت للهيمنـــة الغربيـــة وصـــارت تبحـــث عـــن نمـــوذج للتنميـــة البشريـــة فقـــد جـــرت محـــاولات نهضويـــة انطلـــق بعضهـــا مـــن فكرويـــات علمانيـــة قوميـــة أو اشـــتراكية.

التجـــارب العلمانيـــة ســـواء الاشـــتراكية أو القوميـــة أخفقـــت لأنهـــا اهتمـــت بالتنمية و تجـــاوزت الهويـــة هكـــذا كان الحـــال في تركيـــا الكماليـــة، وإيـــران الشاهنشـــاهية، ومـــصر الناصريـــة، والعـــراق وســـوريا البعثيـــة، واليمـــن الجنوبيـــة الشـــيوعية، والســـودان الاشـــتراكي، والتجـــارب اللبراليـــة، كانـــت تلـــك المشروعـــات للتنميـــة

فاشلة لأنها أسقطت دور الهوية والمعلوم أن الهوية أولاً ثم مواجهة التحديات التنموية. مشروعات تنموية خارج وجدان شعوبها. إنها تجار متعلقة بمستقبل بلا وفاء

وجرت محاولات نهضوية تحت شعار إسلامي في كثير من البلدان في السودان وفي مصر وفي أفغانستان. هذه المحاولات اهتمت بالهوية على حساب التنمية العصرية ففشلت فشلاً ذريعاً، لأنها مشروعات تغرد خارج سرب التاريخ. هذه تجارب ذات وفاء بلا مستقبل

وهنالك محاولات توفيقية في تركيا، وفي تونس، وفي ماليزيا، وأندونسيا والحكم على نجاحها في تجسيد وظيفة الخلاص والإحياء مؤجل حتى إشعار آخر.

ههنا سأقدم مرافعة من أجل احتمال أن يقدم السودان الأنموذج المنشود. فما هي أوراق اعتماد السودان؟

التجربة السودانية مدرسة مفيدة لمستقبلها ولغيرها للأسباب الآتية:

كان السودان موطن أنجح ثورة شعبية في القرن التاسع عشر في الطور الأول من المهدية.

وقدم السودان تجربة عملية للتوفيق بين التأصيل والتحديث. في الطور الثاني من المهدية.

وقدم السودان أنجح عملية انتقال من السلطة الامبريالية إلى السلطة الوطنية.

وشهد السودان تجربة لبرالية كاملة الدسم. تجربة بقدر ما كفلت الحريات العامة أخفقت في تحقيق توازنات اجتماعية وفي إدارة التنوع.

وشهد السودان انقلابين عسكريين رفعا شعارات أيديولوجية اشتراكية وإسلامية أثبتت أن الاستيلاء العسكري لتحقيق أهداف أيديولوجية فاشل لأن السلطة الانقلابية سوف تحتاج للقوة لحماية سلطتها ما يحولها

لنظـام فاشسـتي أمنجـي ويقـزم الأيديولوجيـة. نعـم تجـارب الحكم العسـكري لا سـيما في انقلابـي مايـو ويونيـو كانتـا آيـة في الفشـل ولكنهما شـكلتا درسـين في تجنـب ارتـكاب الخطـأ.

قال غاندي بحق ما يتحقق بالقوة يحتاج للقوة لحماية نظامه.

الفاشـية نهـج سـياسي يسـتمد اسـمه مـن كلمـة فاشـيو الإيطاليـة وهـي حلقـة معدنيـة كان الإمبراطـور الرومانـي يجمـع فيهـا مفاتيـح ترمـز للسـلطة المطلقـة.

هـذه النظـم تتعـارض حتمـاً مـع منظومـة حقـوق الإنسـان وتتعـارض حتمـاً مـع مؤسسـات الدولـة الحديثـة لأنهـا تحولهـا لأدوات سـيطرة لحـزب السـلطة بـل تهمـش المؤسسـات النظاميـة بإنشـاء تكوينـات مليشـياوية تـوالي السـلطة خـارج التكوينـات النظاميـة.

لذلـك فـإن تجربـة السـودان مـع النظـام الـذي رفـع شـعارات أيديولوجيـة بعد الاسـتيلاء الانقلابـي عـلى السـلطة درس لتجنـب الوسـائل الانقلابيـة لتطبيـق البرامـج الإصلاحيـة.

ومهمـا حاولـت الفاشـية السـيطرة عـلى المجتمـع السـوداني فـإن المـزاج السـوداني يسـتعصى عليهـا.

السـودانيون يمارسـون اختلافاتهـم الأيديولوجيـة والسياسـية بنسـبة عاليـة مـن التسـامح مـا يهيـئ مسـاحة للهندسـة المطلوبـة للخـلاص وللإحيـاء.

الشـعب السـوداني مـا زال يحتفـظ بمواعـين نشـاط سـياسي قـادرة عـلى الحركـة، والنظـام الحاكـم في السـودان هـو الأكثـر هشاشـة وبالتـالي الأكثـر اسـتعداداً للرحيـل عـن طريـق الـتراضي أو الإطاحـة. الدليـل عـلى هشاشـة النظـام الحـالي أنـه بعـد 29 عامـاً مـن الانفـراد بالسـلطة لجـأ داخليـاً لحمايـة سـلطانه بأجهـزة مليشـياوية قبليـة وخارجيـاً اسـتجدى روسـيا أن تحميـه)))).

المطلب الثاني : التحليل

هـذا الفصل يعتـبر وثيقة فكرية ذات طابـع تحليلي وتأصيلي وتوجيهي، اسـتعرض فيـه الامـام الصـادق المهـدي **التطـورات التاريخيـة والفكريـة والسياسـية للحركـة المهديـة**، ثم انتقـل إلى معالجة **الراهن الإسـلامي والعالمـي من منظور وظيفـي للخـلاص والإحيـاء**، **مقدمـاً بذلـك مشروعـاً حضاريـاً للإسـلام في القـرن الحـادي والعشرين.**

في هـذا الفصـل يقفـز الامـام الصادق المهـدي الى مـا يمكن تسـميته بـ«**الإسـلام الإصلاحـي الوظيفـي**»، ويتبنـى رؤيـة عقلانيـة متزنـة، تنـأى عن الغلـو الديني والانعـزال الفكري، وتسـعى إلى تقديم مشروع إسـلامي معـاصر **يخاطب تحديات العـصر بـروح الإسـلام ومقاصده لا بجمـود نصوصـه أو تاريخيتـه**. نتناول **محـاور الفصـل في النقـاط التالي:**

نفي الطابع المهدوي الميتافيزيقي عن الحركة المهدية:

ذهبـت الورقـة الى اعتبـار أن المهديـة ليسـت انتظـاراً مخلصـاً في آخر الزمـان، بل هـي اسـتجابة تاريخيـة **وظيفيـة** لحاجـة الأمـة إلى الخـلاص وإحياء الديـن، كما جسـدها الإمام محمـد أحمد في القرن التاسـع عـشر، والإمام عبد الرحمـن في القرن العشريـن، والدعـوة الآن إلى اسـتمرارية هـذا «الـدور الوظيفي» لا تكرار شـخصي.

بيان أن وظيفة الإسلام في القرن الحادي والعشرين هي :

الخـلاص والإحيـاء هما المهمـة الراهنـة، وهـذا يعني قيـادة **التنمية الإنسـانية المسـتدامة**. ويجـب تفعيـل مرجعية إسـلامية تقـوم على:

- مقاصد الشريعة.
- تدبر النصوص لا تقليدها.
- توافق العقل والنقل.
- تجاوز الجمود الفقهي والخلافات المذهبية.

تقديم نقد شامل للواقع الإسلامي المعاصر:

قــدم الإمــام الصــادق المهــدي نقــد شــامل للواقــع المعــاصر للمســلمين مــن خــلا التطــرق الى عوامــل ضعــف وانحطــاط في الأمــة، منهــا:

- هيمنة التقليد على الاجتهاد.
- تغييب العقل.
- الاستبداد السياسي.
- الظلم الاجتماعي.
- التمزق الطائفي.
- التبعية للغرب فكرياً واقتصادياً.
- هشاشــة الدولــة القطريــة وفشــل مشــاريع التحديــث القسريــة أو الدينيــة المؤدلجــة.

طــرح الامــام الصــادق المهــدي لرؤيتــه لمــشروع التجديــد الإســلامي وذلــك مــن خــلال :

- قــراءة جديــدة للوحــي تفــرق بــين القطعــي والمتشــابه، وبــين مــا يثبــت بالأخــلاق والعقــل والعلــم ومــا ينقــض بــه.
- تجــاوز المفاهيــم التقليديــة المغلقــة مثــل "دار الحــرب ودار الإســلام" إلى فقــه تعاهــد وتعايــش عالمــي.
- ضرورة تطوير تشريع مدني تشاركي يقوم على الاجتهاد الجماعي.
- رفــض الحاكميــة بالمعنــى الثيوقراطــي، وتأكيــد أن الأمــة مصــدر **الســلطة.**
- الإصلاح الاقتصادي قائم على العدالة الاجتماعية ومواجهة الفقر.

بيان السودان كنموذج محتمل للنهضة الإسلامية:

يـرى الكاتـب أن **السـودان بحكـم تاريخـه المهـدوي والتجـارب السياسـية الفريـدة فيـه (مـن الليبراليـة إلى الإسـلاموية)** مؤهـلٌ لقيـادة أنمـوذج التجديـد الإسـلامي المأمـول، نظـراً لـ:

- مرونته الثقافية والدينية.
- تنوعه العرقي والديني.
- تجربته التاريخية الغنية بالثورات والفكر.
- هشاشة النظام الحاكم ما يجعل التغيير ممكناً.

تقييم أفكار الفصل :

مـا يحسـب للإمـام الصـادق المهـدي في هـذا الفصـل مـن الورقـة ، واعتبـاره ايجابيـاً هـو:

- ابتعاد عن الثيوقراطية والجمود.
- رفض للغلو والتكفير.
- تأصيل لاجتهاد عقلاني.
- معالجة عصرية للتنمية وحقوق الإنسان.
- دعوة إلى الدولة المدنية بمبادئ إسلامية (شفافية، مساءلة، قانون).
- دعوة للتعايش المذهبي والدولي.

وما يؤخذ على النص وجود بعض التحديات أو الثغرات:

- النص نظري جداً، وقليل في جوانب التطبيق العملي (كيف، من، متى؟).
- الاعتمـاد عـلى "التوفيـق بـين الأصالـة والمعـاصرة" شـعاراً عامـاً قـد لا يكون كافيـاً دون آليـات واضحة.

- النظر إلى السـودان كـ«نموذج مرشـح» قـد يكون طموحاً في ظـل واقعه المأزوم بشـدة (صراعات مسـلحة، تدهور اقتصادي، فشل سـياسي مستمر).
- ضعف التعرض لمخاطر الرأسمالية العالمية المعاصرة بعمق أكبر.
- الحديـث عن السـنة النبويـة بحاجة لتفصيـل أكثـر في كيفية التعامـل معها في ظل النقـد العلمي.

خلاصـة كل ذلـك ، ان الدعـوة هنـا هـي لإسـلام **وظيفـي، عقلانـي، إنسـاني، مقاصـدي**، يقـود التنميـة، ويشـارك في حضـارة عالميـة متعـددة الأقطـاب، متصالـح مـع الوحـي والعقـل والعـصر.

الختام :

إن كانـت الدعـوة المهديـة في طورهـا الأول قـد خاطبـت تطلعـات القـرن التاسـع عـشر، فـإن الطـور الرابـع المقـترح هنـا يطمـح إلى أن تكـون المهديـة «وظيفـة نهضويـة»، لا «رسـالة غيبيـة»، تسـعى لأن يكـون الإسـلام طليعـة التنميـة لا ظـلاً عـلى هوامشـها.

المبحث الرابع

ما العمل؟

المطلب الأول:

إجابة الورقة على التساؤل :

(قدمنا الحاجة للخلاص والإحياء في المرحلة الحالية. وقدمنا أن أوراق اعتماد السودان لتقديم الانموذج المطلوب لا تجارى فما هي مسؤليتنا عبر تفصيل آليات العمل العام؟

لدينا كيانان أحدهما دعوى أي هيئة شؤون الأنصار والآخر سياسي أي حزب الأمة القومي.

ومع أن ظروفاً طارئة ألزمتنا بانتخاب قيادة واحدة لهذين الكيانين فإن المطلوب في المرحلة القادمة الفصل التام بين الكيان السياسي والكيان الدعوي، الفصل بين الكيان الدعوي والكيان السياسي سببه أن الكيان الدعوي يخص الأنصار وحدهم. أما الكيان السياسي فمفتوح لكل المواطنين انصار وغير انصار ومسلمين وغير مسلمين. نحن نقول نعم للفصل بين الديانة والسياسية وهذا لا يعني كما يظن بعض الناس الفصل بين الدين والدولة. الدولة عبارة عن شعب، وأرض، وسلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية تمارس عليه. لا يمكن الفصل بين الدين والشعب، ولا بين الدين والسلطة التشريعية، وبين الدين والسلطة القضائية ولكن المطلوب في هذه المجالات مراعاة المساواة في المواطنة.

إن النظام الشمولي الحاكم حاول في عام 2002م اختراق قيادة حزب الأمة القومي وقيادة كيان الانصار وبقيادات موالية له ما جعل جماهير الأنصار تحرص على قفل الباب أمام هذه الاخترقات. ما أوجب الجمع بين القيادتين في تلك المرحلة والآن وجب الفصل بينهما. المرحلة الراهنة تتطلب التركيز على ستة مهام هي:

تبني الفكر الإسلامي المجسد لمطالب الخلاص والإحياء.

القيام بالدعوة والإرشاد لنشر ذلك الفكر. وفي هذا الصدد الانتماء للدعوة يتعدى الحدود القطرية.

التواصل مع كل الجماعات الإسلامية لإبرام ميثاق المهتدين، لا سلام بين المسلمين دون سلام بين الطوائف.

التواصـل مـع كل الجماعـات الدينيـة لا سـيما أهـل الكتـاب لإبـرام ميثـاق الإيمانيـين، التعايـش والاحـترام المتبـادل بـين أصحـاب الملـل الأخـرى ضروري لأنـه لا سـلام بـين الشـعوب دون سـلام بـين الأديـان.

علينـا أن نبـدي قمـة التسـامح مـع الديانـة اليهوديـة فهـم أهـل كتاب والتفسـير بـأن (غَـيْرِ الْمَغْضُـوبِ عَلَيْهِـمْ) [24] و(الضَّالِّـينَ)[25] في الفاتحـة هـم اليهـود والنصـارى خطـأ ففـي القـرآن أن هـؤلاء هـم المشركـون. اليهـود والنصـارى أخوتنـا في الملـة الإبراهيميـة.

أمـا الصهيونيـة فهـي إمبرياليـة اسـتيطانية ينبغـي أن نتصـدى لهـا بأقـوى المواقـف انتصـاراً للحقـوق الفلسـطينية والعربيـة والإسـلامية لا سـيما في ظروف الانكسـار الحاليـة. ولا ينفعهـم الدعـم الـدولي فهـو دعـم الآن يحيـد بعضـه بعضـاً. وأهـل فلسـطين سـوف يصبحـون أغلبيـة السـكان بـين النهـر والبحـر ولـن يستسـلموا. وتـوازن القـوى عـلى الأرض ليـس مـن مصلحـة المعتديـن فـلا صلـح إلا عـن طريـق رد الحقـوق لأصحابهـا.

التمدد في مجال العمل الخيري والاجتماعي والإنساني.

تطويـر فكـرة أولاد النظـام وشـباب الأنصـار وشـباب النظـام وتكويـن منظمـة شـبابية، دعويـة، تربيويـة، رياضيـة، تغـرس المهـارات الحياتيـة باسـم كشـافة ا لفلا ح .

تبني فكرة تعايش الحضارات.

ويرجـى أن يتخـذ هـذا البرنامـج شـكله النهائـي في المؤتمـر العـام الثانـي لهيئـة شـؤون الأنصـار.   قبـل الدعـوة للمؤتمـر العـام الثانـي لهيئـة شـؤون الأنصار

سوف أدعو لورشة تكوينية لتطوير الدليل الأساسي لدستور للهيئة وسوف نحرص على ربط جهاز الدعوة والإرشاد بالاجتهاد المستمر، وعلى تطوير نشاط الهيئة كمؤسسة للخدمات الاجتماعية، والصحية، والتعليمية، والاستثمارية، وللتنمية الحضرية، والريفية. سوف أقدم لهذه الورشة ورقة عمل مفصلة تقترح تطوير الدليل الأساسي لدستور وتقترح كافة الأنشطة المذكورة لتدرس وبعد ذلك تقدم لإجازتها عن طريق المؤتمر العام الثاني للهيئة.

ومن الرؤى الجديدة الدعوة لتمويل مجمع بيت الإمام المهدي، وجامع الخليفة، وبيت شيخ الدين، وبيت الخليفة، ودار الرياضة لمعاهد، ومساجد، ومكتبات، تحت عنوان البقعة المباركة قلب أم درمان عاصمة هوية السودان .

حزب الأمة القومي ودوره في هذه المرحلة:

أن يقدم حزب الأمة القومي مشروعاً لعهد وطني لبناء الوطن يتناول بيان برامج تأسيس الدولة الحديثة، والتنمية العادلة، والسلام العادل الشامل، والعلاقات الأقليمية والدولية المنشودة.

إجراء حوارات مع كل القوى السياسية ذات المرجعية الإسلامية، والشيوعية، والقومية، والأفريقانية بهدف استصحاب إيجابياتها وهندسة البناء التوفيقي الذي يحقق السلام العادل الشامل والتحول الديمقراطي الكامل.

يحسم مشروع بناء الوطن دور القوات النظامية في الدولة المدنية الديمقراطية الفدرالية الحديثة.

بعد تحديد معالم العهد الجديد لبناء الوطن يترافع الحزب لجعله اساساً للتعبئة من أجل النظام الجديد. المشاكل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وفي العلاقات الخارجية التي أفرزها النظام الحالي حللناها واقترحنا حلولها في مجال آخر. ولكن هنالك مشاكل جديدة أفرزها النظام تتطلب إدراكاً بها وحلولاً حاسمة لها أهمها:

مشــكلة النازحــين داخــل البــلاد وأعدادهــم الآن نحــو 3 مليــون إلا قليــلاً. إن بقاء هــؤلاء المواطنــين في حالــة نــزوح لأكثــر مــن 12 عــام أفــرز مشــاكل اجتماعيــة واقتصاديــة وأمنيــة كبــيرة مــا يتطلــب علاجهــا وبرنامــج عودتهــم لمواطنهــم الأصليــة في أمــان لذلــك ســوف ندعــو لمؤتمــر جامــع. واتخــاذ قــرارات بحلهــا.

صحيــح أن مشــكلة الجنــوب كانــت موروثــة مــن العهــد الامبريــالي. كذلــك اســتمرت معقــدة اثنــاء الحكومــات التــي ســبقت النظــام الحــالي الــذي باحتلاله للســلطة أجهــض مؤتمــراً قوميــاً دســتورياً مزمعــاً في 18/9/ 1989م.

وينبغــي أن يحمــل النظــام الحــالي المســؤولية عــن وضــع القــوى السياســية الجنوبيــة امــام خيــار أن يكونــوا مواطنــين مــن الدرجــة الثانيــة أو أن يقــرروا مصيرهــم. وقــد اختــاروا ذلــك.

ولكــن بعــد فــترة مــن الحكــم المســتقل اتضــح أن المشــاكل في دولــة الجنــوب فاقــت كارثيــة المشــاكل القديمــة.

نحن لسنا أوصياء على اخوتنا في الجنوب ولكن عوامل جيوسياسية قوية تجمع بيننا.

علينا أن ننظم مؤتمراً فكرياً، وسياسياً، شعبياً، لدراسة الموقف والمساهمة في اقتراح حل يحقق الاستقرار والسلام والديمقراطية والتنمية في دولة الجنوب واقتراح العلاقة الخاصة المطلوبة بين دولتي السودان.

وهنالك مشكلة الاراضي التي خالف النظام المصلحة الوطنية وباعها لجهات أجنبية بل فرط فيها لسداد ديونه. وهنالك مشكلة السدود التي تواجه معارضة سكان المناطق المعنية.

لقد نظمنا ورشة لدراسة مسألة الأراضي وأخرى لدراسة مسألة السدود وسوف نعمل لايجاد تأييد قومي لما اهتدينا له من توصيات.

يدعو الحزب إلى إجراء عدالة انتقالية تحقق مساءلة في الأداء العام منذ الاستقلال. هذه المساءلة تتناول كل الاداء العام عبر النظم الانقلابية والنظم الديمقراطية وذلك عن طريق مفوضية عنوانها الحقيقة والإنصاف.

يحسم الحزب وينادي بإنهاء النظام الذي أسسه انقلاب 30 يونيو 1989 عبر التراضي أو الإطاحة بالوسائل السلمية.

يؤهل حزبنا السياسي للقيام بهذا الدور عوامل اهمها: تآكل الأحزاب المنافسة، تمدد أواصر التفاهم السياسي بيننا وبين القوى الجديدة من منابر الهامش والمنابر الشبابية والنسوية والمدنية.

ينسق الحزب مع كل القوى السياسية ذات الأهداف المماثلة داخل وخارج الوطن.

هذه المعالم تغذي برنامج الحزب الذي سوف يعرض لإجازته عبر المؤتمر العام الثامن.

وفي حالتي الكيان الدعوي والكيان السياسي يتم إجراء هيكلة جديدة بآليات ديمقراطية، وتدخل هذه الإجراءات في تجسيد وظيفة الخلاص والإحياء المنشودة. ومثلما تقوم هيئة شؤون الأنصار بنشر الدعوة في الإطار الإسلامي، يقوم حزب الأمة القومي بنشر الأنموذج الديمقراطي التنموي العدالي كأنموذج صالح بديلاً عن النظم الأوتوقراطية.

قيل أن بلداننا غير قادرة أن تحدث تغيراً أيجابياً، التحدي التاريخي أمامنا أن نفعل ذلك ولا نستبدل طغياناً بمثله بل نحقق عطاءاً سودانياً يقتدى به)))) .

المطلب الثاني :

التحليل الموضوعي لإجابة الورقة على التساؤل:

هذا النص يمثل رؤية استراتيجية شاملة لدور **هيئة شؤون الأنصار** و**حزب الأمة القومي** في المرحلة الراهنة من تاريخ السودان، ويعرض خارطة طريق مفصلة للخلاص والإحياء الوطني والديني والسياسي والاجتماعي. وبناءً على ما ورد، يمكن تلخيص «ما العمل؟» في مجموعة من الخطوات والآليات العملية، لكل من الكيان الدعوي (الهيئة) والسياسي (الحزب)، كما يلي:

الفصل المؤسسي والتنظيمي بين الكيان الدعوي والسياسي ، لماذا؟

- لأن الكيان الدعوي يخص الأنصار وحدهم.
- بينما الكيان السياسي مفتوح للجميع: أنصار وغير أنصار، مسلمين وغير مسلمين.

كيف؟

- إعداد لوائح تنظيمية مستقلة لكل من الهيئة والحزب.
- انتخاب قيادات منفصلة، وفقاً لآليات ديمقراطية لكل كيان.
- فصل الأنشطة والتوجهات:
- الهيئة للدعوة والتوجيه الديني والخيري.
- الحزب للعمل السياسي وبناء الدولة.

مهام هيئة شؤون الأنصار (الكيان الدعوي)

1. **ترسيخ الفكر الإسلامي المستنير**

- يجسد مطالب الخلاص والإحياء ويستند على الاجتهاد المستمر.
- يتجاوز الحدود القطرية (عالمي التوجه).

2. **الدعوة والإرشاد**

- تطوير جهاز الدعوة بالتأهيل، والتدريب، وربطه بالاجتهاد المؤسسي.

3. **التواصل الإسلامي والديني**

- ميثاق المهتدين مع الجماعات الإسلامية: لتوحيد الصف.
- ميثاق الإيمانيين مع أهل الكتاب: للتعايش واحترام الآخر.

4. **موقف واضح تجاه اليهودية والصهيونية**

- اليهود أهل كتاب وشركاء في الملة الإبراهيمية.
- الصهيونية استعمارية ويجب مقاومتها دعماً لفلسطين.

5. **العمل الخيري والاجتماعي**

- توسيع النشاط في المجالات: الصحية، التعليمية، الاجتماعية، والاقتصادية.

6. **إطلاق منظمة «كشافة الفلاح"**

- شبابية، تربوية، رياضية، دعوية.
- تغرس القيم والمهارات الحياتية.

7. **تطوير المؤسسات الدعوية والثقافية**

- تمويل مشاريع: مجمع بيت الإمام المهدي، جامع الخليفة، البقعة المباركة كهوية حضرية.

8. **عقد المؤتمر العام الثاني**

- لإجازة الهيكلة والدستور الجديد للهيئة.

مهام حزب الأمة القومي (الكيان السياسي)

1. **مشروع العهد الوطني**

- لبناء الدولة الحديثة: العدالة، التنمية، السلام، الحكم الفيدرالي، العلاقات الخارجية.

2. **حوارات سياسية شاملة**

- مع كل القوى السياسية (إسلامية، شيوعية، قومية، أفريقانية).
- لصياغة مشروع جامع للسلام والتحول الديمقراطي.

3. **دور القوات النظامية**

- إعادة هيكلة دورها في الدولة المدنية الحديثة.

4. **ملف النازحين**

- دعـوة لمؤتمـر وطنـي يعالـج مشـكلاتهم جذريـاً ويعيدهـم لمواطنهـم بأمـان.

5. **العلاقة مع جنوب السودان**

- عقـد مؤتمـر فكـري وشـعبي لدراسـة مسـتقبل العلاقـة وتقديـم مقترحـات للتكامـل والاسـتقرار.

6. **مشكلة الأراضي والسدود**

- تفعيل نتائج الورش الفنية وبناء رأي عام قومي داعم لها.

7. **العدالة الانتقالية**

- عـبر مفوضيـة «الحقيقـة والإنصـاف» لتقييـم الأداء العـام منـذ الاسـتقلال، لـكل الأنظمـة.

8. **إنهاء النظام الحالي**

- بالتراضي أو الوسائل السلمية الشعبية.

9. **التحالفات السياسية الجديدة**

- تقوية أواصر التفاهم مع منابر الشباب، الهامش، والنساء.
- التنسيق مع القوى المشابهة داخل وخارج السودان.

رابعاً: الإجراءات التنظيمية القادمة:

- **مؤتمـر عـام ثامـن للحـزب** لإجـازة البرنامـج السـياسي وهيـكل القيـادة.

- **ورشـــة تكوينيـــة** لتطويـــر دســـتور الهيئـــة وتحضـــير مؤتمرهـــا العـــام الثانـــي.

خامساً: الرسالة النهائية

التحـــدي التاريخـــي هـــو تقديـــم **عطـــاء ســـوداني يُقتـــدى بـــه** لا يكـــرر الطغيـــان، بـــل يبنـــي بديـــلاً ديمقراطيـــاً، تنمويـــاً، عـــادلاً، ومســـتنيراً.

الملاحق

الملحق الأول

كلمة الإمام الصادق المهدي[1]

الجلسة الختامية مؤتمر المهدية تحت شعار: المهدية الفكرة والدولة جامعة الأحفاد للبنات بالتعاون مع صالون الإبداع للثقافة والتنمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه[2]

السيدة الرئيسة[3] ، أخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي

أبدأ بشكر المحضرين لهذا المؤتمر، وشكر الحاضرين في هذا المؤتمر فكلاهما أنجز إنجازاً موفقاً، أما بالنسبة للحاضرين فالنسبة قليلة للغاية كنت اتوقع لعنوان هكذا ان يحتشد في هذه القاعة قادة سياسيون، وقادة دينيون، وطلبة هذه المؤسسة النيرة الأحفاد، الطالبات، لأن هذه الموضوعات تهمهم جداً. كذلك كنت أتوقع أن يحتشد أعضاء ورؤساء أجهزة حزب الأمة وهيئة شؤون الأنصار ولكن الذين حضروا على طول هذه الجلسات النيرة المفيدة أعدادٌ قليلة للغاية. هذا نقد ينبغي أن يسمعه الآخرون لأن النقد كما قال عمانويل كانط: أهم وسيلة للبناء اكتشفها الإنسان هي النقد. غياب هؤلاء جميعاً عيب كبير.

أبدأ بالإشارة لبعض المفاهيم:

أولاً: بعضنا تحدث عن أنصار المهدي، لا شيء في وثائقنا اسمه انصار المهدي وهي مأخوذة من آية، ممكن تقول احباب المهدي أصحاب المهدي، لكن أنصار الله.

ثانياً: الخليفة التعايشي. المهدي سئل هل نشير للمهدي الدنقلاوي، قال لا بأس، الآيات نفسها تنسب إلى حيث نزلت: مكية ومدنية، لكن هذه

---

(1) . منشورة في الرابط (https://www.alsadigalmahdi.com) كلمة الإمام الصادق المهدي في الجلسة الختامية لمؤتمر المهدية تحت شعار: المهدية الفكرة والدولة | الإمام الصادق المهدي :

(2) . ملحوظة: ألقيت الكلمة شفاهية وقام المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي بتفريغها من التسجيل الصوتي.

(3) . رئيسة المؤتمر كانت الأميرة الأستاذة / **سارة عبد الرحمن نقد الله** .

العبارة استخدمها أعداء المهدية لتحجيم دور خليفة المهدي. الخليفة في عهد الإمام المهدي اسمه خليفة الصديق، وبعد أن انتقل المهدي صار اسمه خليفة المهدي وهذا هو المعنى الصحيح الذي اكتسبه لدوره في الدعوة والثورة والدولة.

ثالثاً: ما قاله بعضنا هنا أن المهدي قال: من شك في مهديتي فقد كفر، ويريدنا أن نقول بذلك. المهدية فيها صيرورة، هذه الصيرورة بناها الإمام نفسه على "لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال"، وقد قلت ونساء. والمهم أن المهدية فيها صيرورة وقد أوضحت كيف جعلت الإمام عبد الرحمن اعترف بالتعددية من داخل الدعوة ولذلك نحن نقول بالذي فعله الإمام عبد الرحمن بالنسبة لهذه الصيرورة.

رابعاً: تحدث ابننا الزبير محمد علي عن مسألة مهمة في الإسلام وهي السياسة الشرعية، وتقتضي دائماً مراعاة الواقع والمصلحة والمقاصد مهما كانت النصوص حتى نصوص القرآن، وقد أوضحت هذا الكلام في محاضرتي.

خامساً: العرض لغردون: الثابت ليس موضوع غردون، بل أن الإمام المهدي ما كان يريد اجتياح الخرطوم، لأنه كان يعتقد أن هذا يؤدي إلى فوضى، ومعلوم أن الحرب كما قال أبو تمام:

الحرب مشتقة المعنى من الحَرَب

أي من الخراب، ولذلك ألح على غردون في منشوراته وخطاباته أن تعال ونسلمك لأهلك بدون خمسة فضة، بلاش، لا فدية ولا أي شيء، والسبب أنه كان يعتقد أن هذا معناه تحرير الخرطوم سلميا، ويوم فتح مكة اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا يوم المكرمة وكان أهل مكة سألوه ماذا أنت فاعل بنا فطمأنهم. بعض الأنصار قالوا اليوم يوم الملحمة، لا ، اليوم يوم المكرمة، اليوم يوم المرحمة. الحقيقة أن الإمام المهدي عليه السلام كان يريد أن تحرر الخرطوم تحريراً سلمياً باعتبار الخطر الذي يأتي مع الفتح بالقوة.

سادساً : اختيار أم درمان: كثير من الناس تحدثوا والمهدي لم يؤسس ام درمان كعاصمة بل كدار هجرة، وأننا سائرون للأمام، لكن استقر الأمر في أم درمان، وحينما ضربت العملة في أم درمان كتب عليها: ضرب في دار الهجرة، كانت مفروض تكون دار هجرة ولكن هناك ميزات أخرى في أم درمان، فأم درمان متصلة جغرافياً بدون عائق مائي بينها وبين كردفان وبشمال الوادي، بمصر. الخرطوم جزيرة لا يمكن تختار عاصمة لدعوة رسالية. هي دار هجرة وبعدها صارت عاصمة بعدما حصل من حصار. ([1])

سابعاً: لا شك أن هذا المؤتمر يساهم في قيمة مضافة لدراسة التاريخ، ولذلك بالإضافة لضرورة قراءة جديدة لتاريخنا أرجو أن تجمع كل المحاضرات والمناقشات لتصدر تحت كتاب بعنوان الدعوة لقراءة جديدة مجدية للدعوة والثورة والدولة المهدية.

لماذا مجدية؟ التاريخ ليس كالعلوم الطبيعية فيه معنى قيمي مع ما فيه من ضرورة علمية، والمعنى القيمي لتاريخنا هو أن السودان لدى كثير من المؤرخين يعتبر كأنه مديرية تقع جنوب مصر وهناك تهميش كبير جداً للسودان ودوره. السودان نعم دخلته دعوات كثيرة وافدة، وكان مستجيباً لها نعم، لكن السودان معطاء، يجب أن نفصل كيف أن هذا التاريخ معطاء: كوش حضارة مميزة استمرت ألف عام بلغتها وأبجديتها وصناعاتها، كانت عطاءً تاريخياً كبيراً. المسيحية في السودان دولها كانت كذلك، دخلت سلمياً واستطاعت مقاومة كل الغزاة الذين حاولوا غزو السودان، ثم الممالك الإسلامية التي استطاعت معاً أن تجعل كل السودانيين مسلمين سلمياً فيها إنجازات كبيرة جداً وعطاء. ثم المهدية كحركة تحرير عظمى في القرن التاسع عشر وتمثل كذلك عطاءً سودانياً، ثم الاستقلال الذي انفرد بين استقلالات الدول الأخرى بما فيه من صفاء ووضوح، ثم الثورات الثلاث ضد الطغاة التي تعطي السودان

(1) . هذه النقطة جاءت تعليقاً من الإمام الصادق المهدي على ما أوردته في الورقة التي قدمتها في المؤتمر بعنوان: **فلسفة الامام المهدي في إدارة التغيير والتنوع وأثره في إنجاح الثورة المهدية (1881-1885)** ، والتي ذهبت فيها الى أن أمدرمان هي الدليل الأبهى لإسقاط فلسفة الإمام المهدي في إدارة التغيير والتنوع .

أيضاً ملكية فكرية لهذا التحول، وأما الثورة الأخيرة فبالإضافة لما فيها من تغيير فيها الآن أيضاً توجه نحو بديل. الحركات الموجودة الآن في العالم العربي حركات تدل على تطلعات شعوب ولكن ينقصها البديل، هنا ثورتنا عندها عطاؤها للهدم، ولكن كذلك عندها عطاؤها للبناء، هذا أمر مهم جداً. وكل هذا معناه أن السودان عنده دور معطاء في تاريخه، ليس مجرد مستقبل ولكن صاحب عطاء، يجب ان نوظف تاريخنا لنبين هذه الحقائق لا نتركه ليكون مجرد سرد حقائق، ولكن لنبين السودان المعطاء وليس كمجرد مستقبل. ينبغي أن يدرس التاريخ لتبيان السودان المعطاء ليس بادعاء فارغ بل بالحقائق لأن أعداءنا حاولوا أن يتحدثوا عن دور السودان في معنى تهميش دوره.

ثامناً: موضوع الدين: كثير من الناس يتحدثون عن فصل الدين من الدولة وفصل الدين من السياسة، والعلمانية. الحقيقة أن الدولة هي شعب وأرض وسلطات ثلاث. كيف تفصل هذا من الشعب؟ وللشعب محمول ثقافي جزء مهم منه الدين، ليس الإسلام فقط، كل محاولات طرد الدين من الحياة فاشلة. الكلام عن علمانية في أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا كله لم يستطع طرد الدين من الحياة العامة. الملكة في بريطانيا رأس الكنيسة والدولة، وهناك أحزاب حاكمة في أوربا الغربية تسمي نفسها ديمقراطية مسيحية، وهكذا. لا شك أن للدين دوره. اليهودية في إسرائيل الدين مصدر أساسي فيها، والهند اليوم تحكمها أصولية هندوسية. والمسيحية لها دور، وفي أوربا اليوم فإن أهم قائد سياسي، سياسي بالمعنى الكبير، هو البابا. لا يمكن طرد الدين، وحتى الكلام عن أخواننا في الجنوب، وبعض السودانيين الذين يريدون طرد الدين من الحياة يستشهدون بالجنوب. والجنوب مكتوب في دستوره أن المرجعية للمصادر القانونية من تقاليدنا وهذه التقاليد هي آيات دينهم ويتمسكون بها فأكثرهم تعلماً يتحدث عن عدد الأبقار التي سيقدمها مهراً لزواجه. الكلام عن طرد الدين في أي مجتمع مستحيل. هو كلام ناس يتكلمون خارج الواقع وخارج التجربة الإنسانية. ما يمكن قوله أننا يجب أن نحترم نتائج العقل، نعم،

والحريـة، نعـم، والمسـاواة أمـام القانـون نعـم، لكـن هـذا لا يعنـي طـرد الديـن مـن الحيـاة أو مـن الدولـة.

هنـاك حقيقتـان التوفيـق بينهمـا ضروي: التوفيـق بـين هـذا المحمـول العقـدي الثقـافي الـذي لا سـبيل إلى طـرده مـن الحيـاة، وبـين العقلانيـة المسـتمدة مـن عطـاء الإنسـان كلـه: العلـوم الطبيعيـة، والعلـوم الاجتماعيـة، إلـخ. هـذه عمليـة هندسـة تحتـاج لذلـك، ومـن منطلـق الفهـم المقاصـدي للديـن، والفهـم الواعـي للعلـوم العقليـة نتطلـع للتوفيـق بينهمـا. لذلـك فإننـا نتكلـم عـن جدليـة الأصـل والعـصر كـضرورة مهمـة جـداً في هـذا المجـال.

تاسـعاً: لدى بيـان دور الديـن تسـعفنا كثـيراً دعـوة الإمـام المهـدي التـي تخلـت عـن عبـارة:

ومالـك وسـائر الأئمـة وأبـوا القاسـم هـداة الأمـة

فواجب تقليد حبر منهم كـذا قضى القوم بقول يفهم

كمـا جـاء في جوهـرة التوحيـد. المدهـش أنـه صحيـح هنـاك مـن اسـتغلوا الديـن وسـوف يسـتغلونه لأن للديـن قيمـة في الواقـع، وينبغـي حمايـة الديـن مـن اسـتغلاله كمـا حصـل لنـا في النظـام المبـاد، ولكـن المهـم أن وجـود الديـن قيمـة حقيقيـة، فهـو محمـول ثقـافي ومحمـول عقـدي لا يمكـن التخلـص منـه، ولـو حاولـت التخلـص منـه كمـا فعلـت تركيـا الكماليـة فإنـه عـاد، وكمـا فعل الاتحـاد السـوفيتي للديـن فعـاد، وحيثمـا حدثـت المحاولـة اسـتطاع الديـن أن يثبـت وجـوده لأنـه جـزء مـن الفطـرة ومـن المحـول الثقـافي في كل المجتمعـات، حتـى المجتمعـات التـي قالـت نبذنـا الديـن، صنعـوا لهـم أيقونـات دينيـة: مـاو تـسي تونـغ صـار أشـبه بمعبـود، وسـتالين ولينـين صـارا أشـبه بمعبوديـن، حافظـوا عـلى جثامينهـم ويـدورون حولهـا كأنهـا الكعبـة. هـذا الموضـوع مهـم جـداً، ولا نسـتطيع أن نسـقط ما هـو في الفطـرة وفي المحمـول الثقـافي. وبالعكس حينمـا نحـاول ذلـك تأتـي ردة فعـل فيسـتغل البعـض داعـش والقاعـدة وبوكو حـرام والشـباب الصومـالي وهـؤلاء ينطلقـون مـن أشـياء موجـودة في الفطـرة

وفي المجتمع التخلص منها مستحيل. ولذلك النهج الصحيح هو النظرة المقاصدية للدين، والنظرة الواقعية للواقع العملي والسياسي والعقدي فهما يمثلان حقيقتين لا بد من أخذهما في الحياة.

عاشراً: لقد بينت أن كلمة علمانية ترجمة خاطئة لسكيولارزم secular-ism، كثيرون في مجتمعاتنا جاءوا بهذا "العكاز" يسيرون به من غير معرفة مصدره. كلمة علمانية أتت من صراع ما بين الكنسية في المسيحية والمجتمع المتحرر، وصحيح كانت هناك ضرورة له، ولكن الترجمة الصحيحة للكلمة ليست العلمانية بل الدهرية. وأسوأ ما في ذلك إنكار الغيب، وكما قال كانط أهم فلاسفة الغرب وقد قال ما معناه نعم نبني كل شيء على الحقائق العقلية، ولكن هناك أشياء في الواقع فوق المدركات العقلية وهذا ما جعله يتحدث عن الحقائق العملية. ولذلك قال أي كلام ينطلق من الحقائق النظرية يؤدي إلى معارف نظرية. ولكن الواقع فيه معارف ليست نظرية تؤخذ في الحسبان. ولدينا الآن كثير من علماء السياسة قرأوا السياسة وكتبها ولكنها كتب خارج التجربة السياسية لذلك يصدرون كتباً خارج الواقع، ولا يصحح هذه التجربة إلا:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

لا يمكن بنظريات وتوجيهات أن تغير شيئاً أنت خارجه. إنني اقرأ كلامات كثير من علماء أدباء مثقفين أكاديميين وهي مرحب بها ولكنها خارج التجربة ليس لديها محمول واقعي ولا محمول معرفي ليفيدنا في الواقع.

النقطة الأخيرة: توظيف التاريخ لخدمة الوطنية. الوطنية قيمة مهمة جداً. الرسول صلى الله عليه وسلم حينما خرج من مكة قال أنت أحب أرض الله لي. وحينما أصدر صحيفة المدينة كان ذلك على أساس وطني واضح، المدينة وطنهم. لا شك أن الوطنية مهمة جداً وصارت الآن هي العملة التي يتعامل بها العالم ومهم جداً التعامل معها، صحيح هناك مجال لوحدة إسلامية تبنى على أساس التعاهد ولكن ليس على إلغاء هذه المفاهيم القائمة على النظام الدولي الحالي. ولا شك أن

للمهديـة دور مهـم جـداً في الوطنيـة لأنهـا أعطـت السـودانيين مكانـة كبـيرة تعزيـزاً لوطنيتهـم ولأنهـم في الديـن لديهـم مسـاهمة. والشـجاعة التـي أبداهـا السـودانيون جعلتهـم محترمـين لـدى أعدائهـم: كثـير منهـم قالـوا إننـا نأسـف لأننـا نحـارب هـؤلاء مـع هـؤلاء. كـرري هزيمـة ولكنهـا كمـا قـال أبـو تمـام:

فتى ماتَ بين الضربِ والطعنِ ميتة — تقـــومُ مقامَ النصرِ إذْ فاتهُ النصرُ
وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفهِ — مِنَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليهِ القَنا السُّمْرُ

تكـون هنـاك هزيمـة تقـوم مقـام النـصر إن فاتهـا النـصر، وحقيقـة كمـا في الملحمـة التـي ألفهـا الفرجونـي كيـف أنـه مـن تـراب كـرري نشـأت الوطنيـة السـودانية، وطبعـاً هـذا المعنـى الـذي جعـل وراث هـذه المكانـة هـم أصحـاب كلمـة السـودان للسـودانيين، التعبـير الحديـث للوطنيـة السـودانية. نحـن لسـنا ضـد مـصر ولا أيـة دولـة مـن دول الجـوار، بـل بالعكـس نحـن أكثـر النـاس يجـب أن نسـعى للصداقـة والإخـاء معهـم، ولكـن عـلى أسـاس أن لدينـا لـون وطعـم ورائحـة، لسـنا "كـسرة بمويـة". ينبغـي أن يُحـترم ذلـك. وكذلـك المعانـي بالنسـبة لحيويـة الشـعب السـوداني، وكل مـا في تاريخنـا يـدل عـلى هـذه الحيويـة، حتـى الثـورة الأخـيرة سـجلت آيـات مـن آيـات الوطنيـة السـودانية. لذلـك حينمـا نتكلـم عـن التاريـخ لا نتكلـم عنـه كتمريـن أكاديمـي: اللهـم إنـي أعـوذ بـك مـن علـم لا ينفـع. فليكـن عطاؤنـا واجتهادنـا علـمٌ ينفـع.

والسلام عليكم ورحمة الله،

الملحق الثاني

ورقة الإمام الصادق المهدى
المهدية في الماضي
والحاضر والمستقبل [1]

مقدمة:

عقيدة المهدية:

عقيـدة المهديـة عامـة لـدى أهـل السـنة والشـيعة، لكنهـا لـدى الشـيعة جـزء أسـاسي مـن العقيـدة مرتبـط بالنبـوة، ففـي اعتقادهـم أن النبـي صلى اللـه عليه وسـلم عـين الإمـام عـلي خليفـة لـه، وأن الإمامـة متوارثـة بعـده عـلى نمـط واحد هـو الحسـن، ثـم الحسـين، ثـم تسلسـلت الإمامـة في ذريـة الحسـين إلى الإمـام الحـادي عـشر الحسـن العسـكري، ثـم ابنـه محمـد الـذي غـاب وسـوف يأتـي وقـت ظهـوره، وهـو الإمـام المهـدي المنتظـر. يقولـون إن هـؤلاء الأئمـة باختيـار إلهـي، وهـم معصومـون، والإيمـان بهـم كالإيمـان بالنبـوة. هـذا الاعتقـاد مسـنود بتأويـل آيـات في القـرآن، وأحاديـث منسـوبة للنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وللأئمـة. وهـذه عقيـدة الشـيعة الإثنـى عشريـة ولكـن هنالـك مدرسـتان أخريتـان همـا السـبعية والزيديـة. أي أن للشـيعة ثـلاث مـدارس في المهديـة.

الشـيعة باسـتثناء الزيديـة لا يقبلـون تعاقـب الخلافـة الإسـلامية منـذ أبـي بكـر (رض) إلى عثمـان (رض) لذلـك وصفهـم بعـض متكلمـي أهـل السـنة بالروافـض.

أمـا أهـل السـنة فقـد صنفـوا كتبـاً عديـدة في تأييـد المهديـة، ووضعـوا أوصافـاً للمهـدي المنتظـر كمـا جـاء في كتـاب "العـرف الـوردي في أخبـار المهـدي"

---

(1) . منشـورة في الرابـط الإلكترونـي https://www.alsadigalmahdi.com المهديـة في المـاضي والحـاضر والمسـتقبل | الإمـام الصـادق المهـدي

للسيوطي. وفي كتاب "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر" لابن حجر العسقلاني. وهلم جرا. كتب الحديث المعتمدة لدى أهل السنة أوردت عشرات الأحاديث النبوية القائلة بالمهدية رواها كثيرون: أبو داود، وابن ماجة، والطبري وآخرون. هذه الأحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ذكرت المهدي ولم تذكر المنتظر؛ المنتظر إضافة مذهبية.

عقيدة المهدي المنتظر لدى أهل السنة ليست راسخة كما هي عند الشيعة، بل طعن في حقيقتها عدد من أهل السنة كما جاء في مقدمة ابن خلدون في القدامى، وفي "ضحى الإسلام" لأحمد أمين في المحدثين. والاستشهاد بالأحاديث النبوية لم يحسم الخلاف حول المهدية لأنها أحاديث آحاد. قال النووي: لا يكاد يوجد متواتر؛ أي رواه عدلان عن عدلين تسلسلاً حتى النبي صلى الله عليه وسلم.

ولدى أهل السنة حول عقيدة المهدية سبع مدارس فصلناها في كتاب "يسألونك عن المهدية".

ولأن أهل السنة لا يقبلون عقيدة الشيعة في الإمامة تسلسلاً حتى الإمام المهدي عندهم وصف متكلمو الشيعة أهل السنة بالنواصب.

المفارقات حول عقيدة المهدية:

بالنسبة لأهل السنة وظهور المهدي آخر الزمان تواترت آيات تدل على أنه إذا جاءت علامات آخر الزمان لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ، قال تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ن) [1]. وقال: (فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ)[2]. إذن لا معنى لمهدية تأتي في آخر الزمان.

بالنسبة للشيعة مهما كانت الحجة النقلية أمثال قوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)

[3]. وقوله: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [4]. فإنه لا يجوز بقاء شخص حياً وقد ولد في 255هـ، أي قبل 12 قرن من الزمان، وقد قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[5].

إذن نقلياً وعقلياً لا يمكن قبول هذه الرؤية.

وعلى أية حال، مؤكد أن الشيعة لن يقبلوا مهدياً ليس هو محمد الحسن العسكري لذلك ادعى عشرات الدعاة المهدية كما بين ذلك سعد محمد الحسن في كتابه عن المهدية كلهم من أهل السنة لأن المهدية لدى الشيعة مرتبطة بشخص واحد في مكان واحد. وأهل السنة لن يقبلوا المهدية بالأوصاف الشيعية لأن هذا معناه التحول للمذهب الشيعي وقبول روايته للتاريخ والتزامه بالعقيدة الشيعية.

إذن صارت العقيدة المهدية أساس اختلاف حاد بين أهل السنة والشيعة لن يحسمه جدل منطقي ولا تغلب بالقوة.

حجة ابن خلدون ضد المهدية واهية، لأنه اعتمد على تضعيف أكثر الأحاديث النبوية، وقد اعتمد في رفضها على أساس أنها صارت وسيلة لعدم الاستقرار بفتحها المجال للثورات. ولكن معلوم أن واقع المسلمين صار إلى ملك عضود وظلم اجتماعي فادح ما يستدعى الخروج عليه.

هنالك تناقض حل بالأمة بين مثلها العليا وواقعها، ما يفسر الثورة على الواقع، وبما أن الواقع التمس لنفسه قدسية بمقولة مؤسس الدولة الأموية: ولايتنا بأمر الله فإن لم يكن يردها لغيّرها. ومقولة مؤسس الدولة العباسية أبو جعفر المنصور: إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وحارسه على ماله.. الخ. هذا التقديس للسلطان استدعى خروجاً دينياً عليه.

هجوم أحمد أمين على فكرة المهدية في مؤلفه "ضحى الإسلام" لأنه يفكر في الأمور الاجتماعية بالمنظور الجدلي المنطقي. ولكن ليس بالإمكان دائماً تطبيق المقياس البرهاني على الحراك الاجتماعي لأنه مهما اختلف على الأسانيد السنية والشيعية حول المهدية فإن الفكرة تجسد الصراع بين المثالي والواقع.

ولا يمكن في المجال الإنساني عامة والإسلامي خاصة إسقاط الجانب الروحي المستمر والذي يزيد ظهوره بعد ختم النبوة قال تعالى: (اتَّقُوا اللَّـهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ)[6].

هذا جانب طرقه كثيرون من علماء المسلمين. قال الإمام الغزالي في أمر الرياضات الروحية إنها تؤدي إلى حالة: "تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد". وألف الإمام السيوطي كتاباً سماه "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك".

وفي علم النفس الحديث علماء مثل جونق، ووليم جيمس، يتحدثون عن عالم مشابه للعالم الروحي يجري الاتصال به عن طريق العقل الباطن، وحتى المدارس الوضعية تدرس عالم ما فوق الشعور: الباراسيكولوجيا. دينياً لا خلاف على الرؤيا الصادقة وعلى المبشرات والإلهام وفي واقع الحياة توجد المعية: الألمعي الذي يريك الرأي كأن قد رأى وقد سمع.

بعد هذه المقدمة المعرفية نتحدث عن المهدية في الماضي، والحاضر، والمستقبل:

المهدية في الماضي: الإمام محمد أحمد المهدي:

لم يقل إنه مهدي الشيعة المحدد بشخصه ومكان ظهوره، لذلك فإن العشرات من الذين ادعوا المهدية في تاريخ المسلمين كانوا جميعاً من أوساط السنة. ولدى بعض الزيدية أي اتباع زيد إبن علي بن الحسين فهم وظيفي للمهدية فحواه: كل فاطمي شجاع زاهد سخي خرج ثائراً على الظلم يكون إماماً مهدياً.

إذن هو ليس المهدي كما عبر عنه الشيعة.

وفي أقواله لم يقل إنه جاء في آخر الزمان بل اعتبر الزمان مستمراً وخلف الخلفاء أسوة بالصدر الأول للإسلام.

إذن هو ليس المهدي كما توقعه كتاب سنيون منتظراً آخر الزمان. وكان يقول إن دعوته هي دعوة اتباع فيما يتعلق بالأمور الشعائرية وفي هذه المجالات دعوته تقبل أو ترفض قياساً على الكتاب والسنة كما قال.

وبصرف النظر عن الدعوات المهدية فإن القرآن يحث على مهمة الخلاص قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [7]. وقال: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [8]. وقال: (فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) [9].

في سيرته الذاتية روى الشيخ محمد أحمد أنه ضاق بالفرق بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين، وأنه لذلك سعى ليجد قائماً بأمر الدين فلم يجده، وأنه أثناء عباداته هجمت عليه المهدية بخطاب روحي حصل له وصدقه.

خلاصة دعوته:

أن الإسلام معطل وأن واقع المسلمين يتطلب إحياء الكتاب والسنة.

أن الناس تركوا أصول الدين وانشغلوا باستنباطات الفرق والفقهاء ما يوجب تركها والالتزام بمصادر الدين الأصلية في الكتاب والسنة.

أن إحياء الدين يتطلب الاتباع فى الأمور الشعائرية، وتجاوز الاجتهادات الماضوية في أمر المعاملات والعادات، باعتبار تغير الفتوى مع أحوال الزمان والمكان والحال كما قال ابن القيم، ومقولته "لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال".

إن تفرق المسلمين يتطلب وجود قيادة تملأ مقعد خلافة النبي صلى الله عليه وسلم.

اسقاط الزامية الاستنباطات البشرية التي جعلت الدين اتباعاً لها فصارت حائلاً بين الأمة وقطعيات الوحي. وكما قال الجوزي التقليد فيه إبطال لمنفعة العقل لأنه إنما خلق للتدبر والتعقل وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيئ بها أن يطفئها ويمشي في الظلام.

ضرورة القضاء على الحكام الظلمة الذين ساموا الناس عسفاً.

ضرورة تحرير المسلمين من السلطان الأجنبي وتوحيد الأمة.

ضرورة الالتزام بالعدالة الاجتماعية.

هذا هو جوهر الدعوة، لذلك أشاد بها الإمامان جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، في مجلة "العروة الوثقى" التي كانا يصدرانها من باريس. ونشر الشيخ أحمد العوام أحد زعماء الثورة العرابية كتاباً مؤيداً للدعوة بقوله: "حال المسلمين يتطلب أن ينهض ناهض بأمر الدين فنسأل الله أن يمكن لنا ديينا الذي ارتضاه لنا وفاء لصادق وعده، وتصديقاً لحديث نبيه سواء كان بالإمام المهدي هذا عليه السلام فقد ظهرت كواكبه، ولاحت بوارقه، أو بغيره من عباده الصالحين".

وعلى نفس النمط هذا قال د. عبد الودود شلبي عن الدعوة المهدية في السودان: "كانت حركة تمثلت فيها كل حركات الإصلاح في عصرها".

مدرسة المهدية في السودان مدرسة سنية جديدة فصلت المهدية من توقيت آخر الزمان ومن السلسلة النسبية المحددة. لذلك فإن اتباعها يعتبرون المهدية دعوة خلاص وإحياء أسسها الإمام محمد أحمد المهدي قابلة للتطور مع ظروف الزمان والمكان وبالتالي هم يرفضون أية مهدية أخرى تأتي آخر الزمان أو تأتي بشخص غاب وسوف يعود.

أهمية هذه التعاليم للصحوة الإسلامية، أنها:

حررت الدعوة المهدية من قيد آخر الزمان، ومن قيد السلسلة النسبية، وربطتها بوظيفة الخلاص وإحياء الدين أي بواجبات محددة.

حررت النهج الإسلامي من إلزامية الاجتهادات البشرية المقدرة ولكن غير الملزمة في الفرق والمذاهب.

أكدت مشروعية الاجتهاد المستمر في المعاملات والعادات على أساس لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال.

وفقت ما بين الالتزام بالنص والأعماق الروحية، وقديماً قال الإمام مالك: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. وعن طريق الراتب قدمت نصاً ابتهالياً خالصاً مجرداً من أية مكانة لصاحبها، ومن أية ادعاءات مطلبية، بل ديوان للمحبة الإلهية والأشواق الروحية، ديوان يستطيع كل مسلم أن يلوذ به للذكر.

وفي ندوة في 2006/9/6م حضرها جماعة من أهل السنة، والشيعة الإثنى عشرية، والصوفية، قلت: الاختلافات بيننا حول المهدية لا يمكن حسمها لا بالإقناع ولا بالقوة، ما يوجب أن يحتفظ كل برؤيته، وهي من الأمور التي قال عنها تعالى في القرآن: (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [10]. ولكن ما لا ينبغي الاختلاف عليه هو وظيفة الخلاص ووظيفة الإحياء، فلنتفق على هاتين الوظيفتين وفيهما فإن تعاليم الإمام محمد أحمد المهدي ضرورية لوظيفة الإحياء.

الحاضرون على اختلاف مذاهبهم رأوا معقولية هذا الرأي.

إن للدعوة المهدية في السودان بالإضافة لهذا الرافع الديني روافع أخرى:

جعلت السودان مركز عطاء لا مجرد استقبال للحركة الفكرية في الإسلام، ووحدت السودانيين في عمل تاريخي مشترك، وسجلت لمواطنيه بطولات سار بذكرها الركبان، وفي مجال النصر والهزيمة خصبت الوطنية السودانية.

وفي تعاليمها الاجتماعية نقلت الفكر الديني من الاستكانة للظلم الاجتماعي الذي كرسته النظم السلطانية، إلى مركزية العدل الاجتماعي على نحو ما جاء في سيرة أبي ذر الغفاري. العدالة الاجتماعية لدى الإمام المهدي احتلت مكانة مركزية حيثياتها:

لـكل مــن الناس حســب حاجتــه ولــه ضرورتــه و"الزائد عــن الـضرورة فإنه على العبـد لا له".

المشــارع والحدائق والمبانــي وكل المواقــع ذات النفع العام تضم لبيـت المال لتحقيق الكفاية للناس.

والأرض لمــن يفلحهــا: مــن كان لــه طــين فليزرع مــا اســتطاع زرعــه وإن عجز أو لا يحتــاج لــه فــلا يأخــذ عنــه فيــه "دقنــدي" أي أجر، بــل يعطيــه لأخيــه المؤمن المحتاج.

لذلك قال عبد الودود شلبي إنه سبق بهذه الأحكام الاشتراكيين.

وكتــب جي أوكيــلي الايرلندي محيياً الثائر الســوداني كمصلــح اجتماعي واقتصادي وعــبر عــن أشــواقه "لتمتد أيــدي هــذا البطل الإســلامي الجديــد لتلتقي مــع جهود الاشــتراكيين في أوربا".

بــل في إطــار حــركات التحريــر يؤمئذٍ وصــف زعيــم حركــة التحريــر الايرلندي – بارنيــل- بأنــه المهــدي الايرلندي.

وفي مجــال التعامــل مــع الإمبرياليــة أوجبــت الجهــاد تحريــراً منها بصــورة نالت إعجــاب دعــاة التحرير مــن الامبريالية. إشــارة ظهرت في رســائل فريدريــك إنجلز.

هل هذا العطاء معناه أن المهدية مبرأة من كل عيب؟

الجواب قطعاً لا.

أهم المآخذ على الدعوة المهدية:

ينبغــي تقســيم تاريخ المهديــة في الماضي إلى مرحلتــين مرحلة الدعــوة وتنتهي بوفاة الإمــام المهدي ومرحلــة الدولة وهــي التي قادهــا الخليفة عبدالله. وحول ملابســات المرحلتــين نقول:

نســب للإمــام المهــدي أنــه قــال مــن شــك في مهديتــي فقــد كفــر. هــذه مقولــة خاطئــة وردت في بعــض المنشــورات عــلى أنهــا بــلاغ في حــضرة ولكــن لــم يترتب

عليه إجراء عملي بدليل أنه أجاز لبعض أصحاب الطرق الصوفية كالجزولية الذكر بأورادها وفيهم من لم يؤكن بالمهدية.

ونحن دعاة هذا المقام نتعامل مع النصوص الواردة بالتدبر وعلى أساسه لا نكفر من لا يؤمن بها.

قيل أن المهدية أجبرت المسيحيين على الإسلام ولكن ورد في صحيفة إيرلندية هي المختبر الايرلندي (عام 1884) نص مقابلة الإمام المهدي أوليفر باين الذي قال أنه قاله له أنه لا يجبر الناس على تغيير دينهم. وقد أوضح الأستاذ عبد المحمود أبو شامة في كتابه (من أبا لتلسهاي) أن المهدية خيرت القساوسة الذين كانوا في الجبال بين الإسلام أو إبلاغهم مأمنهم. ومهما كانت الوقائع التاريخية فدعاة هذا المقام الآن يؤمنون بأن (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[11]. وأن الواجب هو: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)[12]. ولكن تاريخياً كانت الصرامة مع الأجانب باعتبارهم جواسيس للعدو.

مرحلة الدولة التي قادها الخليفة عبد الله شهدت أمرين مهمين هما عدم تقبل الولاءات الموروثة القبلية والطائفية لسلطة مركزية. وتكالب القوى الامبريالية ضد الدولة ما أدى في الحالتين لمنازعات واقتتال استغله ونجيت رئيس قلم المخابرات في جيش العدو وشجع كتاب مثل نعوم شقير، وسلاطين، وأهرولدر، وإبراهيم فوزي لكتابة كتب هي بمثابة دعاية حربية ضد المهدية كما قال الأستاذ بيتر هولت في مقدمة لكتاب ونجيت عن المهدية نعم وقعت بعض التجاوزات ولكنني في كتابي "يسألونك عن المهدية" تطرقت لأهمها مثل حادثة البطاحين، وحادثة المتمة، وغيرهما أوضحت حقائقها. وركزت الدعاية الحربية على تشويه شخصية الخليفة عبد الله – خليفة المهدي بانه :جاهل، عربيد، ظالم. كان المهدي من أكثر الناس حرصاً على العلم فلا يمكن أن يولي جاهلاً. ومقولة عربيد لا يمكن أن يوصف بها شخص يؤم الأوقات الخمسة في الجامع. صحيح كان حكمه حازماً ولكنه واجه مؤامرات معادية تصدى لها ولكن كما قال

تشرشـل فرغـم الهزيمـة في كـرري لـم ينفـض النـاس عنـه. وفي تقديـر ونجيـت أن الدولـة قويـة ولا يمكـن إسـقاطها إلا بعمـل مـن الخـارج.

وفي كتـاب بيـتر هولـت عـن الدولـة المهديـة بيـان لجدواهـا بمقاييـس زمانهـا. ورغـم معارضـة الكيانـات الموروثـة والتدخـلات الامبرياليـة حافـظ عـلى وحـدة البـلاد والدفـاع عنهـا وفي النهايـة لـم يهزمهـا إلا غـزو امبريـالي بأسـلحة ناريـة جديـدة.

كانـت الدعـوة تتعامـل في علاقاتهـا الخارجيـة بموجـب رسـالتها فلـم تكـترث بالواقـع الإقليمـي والـدولي المعـاصر.

المهدية في الطور الثاني وهو مرحلة ثالثة

المهدية في طورها الثاني متعلقة بعطاء الإمام عبد الرحمن.

بعـد هزيمـة كـرري وأم دبيكـرات والشـكابة طبـق الغـزاة إبـادة جماعيـة وقتلـوا وأسروا كل مـن كان لـه صفـة قياديـة مـن خليفـة، أو أمـير، أو أبنـاء للمهـدي وللخلفـاء.

والصبـي عبـد الرحمـن أصيـب بالرصـاص في مجـزرة الشـكابة وتـرك ليمـوت نزيفـاً. ولكنـه عـاش واسـتطاع بأسـلوب حكيـم أن يجعـل كيـان الأنصـار أكـبر كيـان دينـي في السـودان، وأن يجعـل الحـزب السـياسي الـذي أسسـه القـوة السياسـية الأكـبر في البـلاد وقادهـا حتـى حققـت الاسـتقلال. ومثلمـا لطخـت تاريـخ المهديـة أقـلام الغـزاة أصـاب سـيرة الإمـام عبـد الرحمـن أذى للأسـباب الآتيـة:

أولاً: وحدت المهدية السودان وحررته وأقامت به دولة رسالية فهدمت في سبيل ذلك كثيراً من الكيانات والمصالح فجحدها أصحابها وغمطوا حق كل منتم إليها.

ثانياً: أشعل الإمبرياليون حرباً معنوية هائلة ضد المهدية سبقت واعقبت حملتهم العسكرية لاخضاع السودان. هذه الدعاية الحربية نثرت الشوك في طريق المهدويين.

ثالثـاً: انتهـج الإمـام عبـد الرحمـن أسـلوباً في العمـل العـام يحمـي بـه جماعتـه

ونشاطه من حكام مستكبرين ومتحفزين ومعادين. هذا الأسلوب اتهمه كثير من رواد الوطنية السودانية التي أشعلها جيل جديد بعد الحرب الأطلسية الثانية، فقاسوا تصرفات الإمام عبد الرحمن بمقاييس أظهرته مستغلاً للمستضعفين ومهادناً للمستكبرين.

رابعاً: الخديوية المصرية على لسان متحدثيها من حكام تعتبر السودان ملكاً لمصر كما قال النقراشي باشا لمجلس الأمن في 1947م، وتعتبر السودانيين مصريين كما قال علي ماهر باشا في محاضرته بنادي الخريجين في أم درمان. هؤلاء اعتبروا الإمام عبد الرحمن هو العقبة الوحيدة بينهم وبين تلك الأطماع لذلك كالوا له بالصاع الكبير هدماً وتجريحاً.

ولكن في الأخلاق السودانية تسامح وموضوعية ما لبث كثيرون حتى من أبناء خصوم المهدية أن دفعتهم الموضوعية لتصحيح الصورة مثلما حكى د. حسن أحمد إبراهيم الذي قال في مقدمة كتابه عن المهدية الثانية إنه نقب في الوثائق ليثبت إدانة السيد عبد الرحمن ولكنه عندما اطلع على وثائق الفترة المعنية شاهد حقائق مختلفة تماماً واقتنع أن صاحب السيرة قد استخدم أسلوباً حكيماً لتحقيق مقاصد نبيلة بحيث وصفه بأنه أهم مواطن سوداني في القرن العشرين.

وفي الاحتفال بمئوية مولد الإمام عبد الرحمن في عام 1996م أقدم كثيرون من شتى المشارب على الاعتراف بفضل الإمام عبد الرحمن.

وفي هذا المجال عن المهدية في طورها الثاني نقول عن عطاء الإمام عبد الرحمن وصحبه الانجازات السبعة الآتية:

عندما برز دور الإمام عبد الرحمن، راجع بعض مفاهيم المهدية في ثلاثة مجالات مهمة: قبول التعايش مع الجماعات الإسلامية الأخرى، وتعريف الجهاد بصورة مدنية، وتعريف الزهد بالاهتمام بالدنيا على أن تكون في يدك لتستغلها لا أن تكون في قلبك فتستعبدك. عندئذ قيل له لماذا لا تكون طريقة تدعى الرحمانية؟ ولكنه أعرض عن هذا بل أكد الولاء للمهدية مع مراجعتها في المجالات المذكورة.

وبينمـا الدعـوة في مرحلتهـا الأولى اتخـذت موقفـاً صارمـاً مـن الثقافـة الوافـدة لدرجـة المقولـة السـودانية الدارجـة: الحمـرة الأباهـا المهـدي. المهـدي لـم يرفض اللـون بـل رفـض الأعمـال. وفي الإطـار الإسـلامي العـام انقسـم المسـلمون إلى ثـلاث فئـات: الذيـن انبهـروا بالحضـارة الوافـدة ونـادوا بالاندمـاج فيهـا، والذيـن رفضوهـا ونـادوا بطردهـا، والذيـن قالـوا بالتوفيـق بـين التأصيـل والتحديـث. وكان الإمـام عبـد الرحمـن مـن أهـم رواد هـذه المدرسـة الثالثـة وقـد أسـس لهـا صروحـاً خالـدة.

وفي نشـاطه العـام يحمـد للإمـام عبـد الرحمـن دوره في بنـاء السـودان الحديـث ففـي كل جوانبـه تظهـر للإمـام بصمـات.

وبنظـرة ثاقبـة أسـس للفصـل بـين الدعـوي، والسـياسي، والاسـتثماري كوجـه مـن وجـوه التحديـث.

ورغـم كل الظـروف اسـتطاع أن يحشـد أوسـع قاعـدة، وأن يتخـذ أكثر الأسـاليب حكمـة لتحقيق اسـتقلال السـودان.

ككل حكـم لا سـيما في ظـروف القـرن التاسـع عـشر تركـت الدولـة المهديـة كدمـات في الجسـم الطائفـي والقبـلي السـوداني. هـذه الكدمـات سـعى الإمـام عبـد الرحمـن ونجـح في علاجهـا.

كان للإمـام عبـد الرحمـن دوراً لا يجـارى في عمـل الخـير سـاهم في بنـاء المسـاجد، وفي تأسـيس المـدارس، وفي نجـدة الغارمـين، وفي البعثـات التعليميـة. في مئويـة ذكـرى مولـده تبـارى حتـى خصومـه في تسـجيل العرفـان بعطائـه- هـذه الأقـوال مسـجلة في كتـاب نـشره أبـو القاسـم محمـد نـور.

وفي الجزيـرة أبـا والهـدى والرحمانيـة والنورانيـة أقـام الإمـام عبـد الرحمـن مدنـاً وقـرى فاضلـة في مقـالي عـن (الإمـام عبـد الرحمـن الصـادق إمـام الدين) والـذي نـشر في الكتـاب الـذي نـشره أبـو القاسـم محمـد نـور تطرقـت لصفـات الصـلاح والشـفافية الروحيـة التـي كانـت للإمـام عبـد الرحمـن والتـي أهملهـا كتـاب سـيرته إذ ركـزوا عـلى عطائـه السـياسي والاقتصـادي.

يؤخذ على تجربة هذه المرحلة أمران: هما ولاية بعض غير المستحقين للقيادة السياسية. والأمر الثاني ما التبس عليه من أمور جعلته يؤيد انقلاب 17 نوفمبر 1958م.

ولكنه في هذا الأمر كان كمن قصد الحق فأخطاه لا من قصد الباطل فأصابه.

المرحلة الثانية من الطور الثالث للمهدية:

هذا يشمل عطاء الإمامين الصديق والهادي:

هذه المرحلة الثانية من الطور الثالث الذي قاده الإمام عبد الرحمن متعلقة بمرحلة خليفتيه الإمام الصديق والإمام الهادي.

الإمام الصديق رفد تراثنا بموقف واضح ضد انقلاب 17 نوفمبر 1958م وهو موقف جسد موقف حزب الأمة كمؤسسة سياسية عارضت الانقلاب واستطاع أن يجمع حوله في هذا الموقف كل القوى السياسية الوطنية وكون الجبهة القومية المتحدة التي ضمت الرئيس إسماعيل الأزهري والقوى السياسية ذات المرجعية الإسلامية والقوى اليسارية بمن فيهم الحزب الشيوعي فصارت زعامته قومية. تبوأ السيد الصديق خلافة والده بالوصية فقد كان شريكاً لوالده في حياته ويده اليمنى.

وعلى فراش الموت أملي الإمام الصديق عليّ وصية واضحة المعالم أهم ما فيها: أن يدير شؤون الأنصار مجلس خماسي برئاسة السيد عبد الله الفاضل وذلك مؤقتاً إلى حين انتخاب الأنصار إماماً. أي أنه جعل أساس التعاقب على الإمامة انتخابياً أي دستور تعاقب انتخابي. والنقطة الثانية المهمة في وصيته هي إلزام الكيان برفض الدكتاتورية في حكم البلاد والعمل من أجل الحريات العامة وحقوق الإنسان ما جعل هذين المبدأين جزءاً لا يتجزأ من تراث الكيان.

المجلس الخماسي الذي أوصى به الإمام الصديق قرر أن تكون الخلافة للسيد الهادي فبويع إماماً.

الإمـام الهـدي امتـاز عـلى أقرانـه مـن القيـادات الدينيـة التـي في العـادة تهـادن ولاة الأمــر الحــكام مراعـــاة لمصالحهـــا. لذلـــك حافـــظ عـــلى موقـــف الكيـــان الرافـض لدكتاتوريـة نظـام 25 مايـو 1969م ومهمـا حـاول النظـام مسـاومته صمـد في وجـه ورفـض اتجاهـات النظـام الانقلابـي. وكان موقفـه مماثـلاً لموقـف خليفـة المهـدي عبـد اللـه بـن محمـد الـذي اختـار الشـهادة ورفـض الاستسـلام.

النظـام الانقلابـي ارتكـب في حـق الإمـام جريمـة حـرب لأنـه قتلـه بعـد أسره وارتكـب جريمـة إبـادة جماعيـة بحملتـه المسـلحة عـلى الأنصـار وحلفائهـم في الجزيـرة أبـا وودنوبـاوي.

مجـزرة الجزيـرة أبـا وود نوبـاوي هـي التـي عبـأت الأنصـار قتاليـاً ضـد النظـام الدكتاتـوري فهاجـرت أعـداد كبـيرة منهـم إلى الخـارج إلى أثيوبيـا ثـم ليبيـا. الهجـرة الرائعـة التـي ضربـت مثـلاً فريـداً في الفدائيـة والتضحيـة وكانـت هـذه الهجـرة هـي رافـد انتفاضـة 2 يوليـو 1976 التـي كادت تنجـح لـولا حـدوث اخطـاء فنيـة. ولكنهـا اثبتـت للنظـام الحاكـم أن بطشـها لـم يفلح في محـو الأرادة الدينيـة والوطنيـة ضـده مـا جعلـه يسـعى للمصالحـة الوطنيـة التـي تمـت عـلى أسـاس اسـترداد الديمقراطيـة. لكـن النظـام اخلـف وعـده ولكـن منـاخ المصالحـة 1977م اتـاح الفرصـة لقوانـا السياسـية أن تتحـرك في كثـير مـن المواقـع بحريـة مـا فتـح المجـال للتحـركات التـي أدت إلى انتفاضـة رجـب/ أبريـل 1985م الظافـرة. لقـد كان لـدم الإمـام الشـهيد الهـادي ودمـاء شـهداء الجزيـرة أبـا وودنوبـاوي دوراً مهمـا في الوقـود لتلـك الانتفاضـة.

المهدية: الطور الرابع:

لقـد نفينـا عـن المهديـة التـي دعـا بهـا الإمـام محمـد أحمـد المهـدي أيـة صلـة بمهديـة محمـد الحسـن العسـكري الشـيعية، وأيـة صلـة بمهديـة آخـر الزمـان السـنية، وأكدنـا أن دعوتـه هـي مهديـة وظيفيـة اسـتجابة للحاجـة للخـلاص وإحيـاء الملـة. قـال الإمـام المهـدي أن دعوتـه هـي لإحيـاء الديـن وتقويـم السـنة وفي عبـارة أخـرى أن دعوتـه هـي لإحيـاء الكتـاب والسـنة.

علـى هـذا النمـط وصفـت الدعـوة المهديـة في المرحلـة الأولى بأنهـا كانـت تجسـد تطلعـات أهـل القبلـة في زمانهـا عـلى حـد تعبـير د. عبـد الـودود شـلبي. وقلنـا إن هـذا الـدور الوظيفـي كان حـاضراً في المرحلـة الثانيـة في وظيفـة التوفيـق بين التأصيـل والتحديـث، الدعـوة التـي نـادى بهـا كثـيرون خلافـاً لدعـاة الاندمـاج في الحضـارة الوافـدة مـن الخـارج، وخلافـاً لدعـاة الاندمـاج في الوافـد مـن المـاضي، والتزامـاً بالتوفيـق بـين التأصيـل والتحديـث الـذي دعـا لـه نظريـاً كثـيرون أمثـال الشـيخ جمـال الديـن الأفغانـي ومحمـد عبـده وابـن باديـس وغيرهـم، وهـو نهـج طبقـه الإمـام عبـد الرحمـن عمليـاً مجسـداً نهـج التوفيـق بـين التأصيـل والتحديـث.

فمـا هـو الـدور الوظيفـي للدعـوة في حـاضر القـرن الواحـد وعشريـن الميـلادي؟

مـاذا سـتكون رسـالة الدعـوة في الحـاضر والمسـتقبل وتصبـح أنموذجـاً للصحـوة في الحـاضر والمسـتقبل؟

للإسلام بين الملل تميز عظيم:

رسوله المؤسس وحده بين الرسل أسس ديانة عالمية ودولة أممية.

كتابه المقدس – القرآن- بين الكتب المقدسة مجمع على النص بين دفتيه.

الحضـارة التـي أسسـتها الرسـالة المحمدية تفوقت عـلى العالم المعمـور في أطوارها العربيـة، والتركيـة، والفارسـية، والهنديـة، والأندلسـية لمـدة ألـف عام مـن القرن السـابع الميـلادي حتـى القرن السـابع عشر.

ومـع هيمنة الحضـارة الغربية الحديثـة على العالم فـإن للحضارة الإسـلامية دوراً في صحـوة أوربـا من ظلمة عصرهـا الوسـطى إلى فجر الحضـارة الحديثة.

وكمـا قـال محمـد أسـد النمسـاوي اليهـودي الـذي صـار داعيـة إسـلامي: رغـم العقبـات التي خلقها تخلف المسـلمين فالإسـلام هـو أعظم مسـتنهض للهمم عرفه ا لبشر .

هــذا النــور المبــين تســلطت عليــه عوامــل تجريــف أبطلــت دوره المأمــول كطليعــة للتنميــة الإنســانية هـــي:

أولاً: بعــد فــترة الاســتنارة الاجتهاديــة هيمــن التقليــد حتــى صــار الديــن هــو التقليــد مــا جعــل الأمــة مرتهنــة للمــاضي عــلى نحــو مقولــة جوهــرة التوحيــد:

وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الأَئِمَّهْ كَذَا أَبُو الْقَاسِمْ هُدَاةُ الأُمَّهْ

فَوَاجِبٌ تَقْلِيدُ حِبْرٍ مِنْهُمُ كَذَا قضى القَوْمُ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ

ثانيــاً: بعــد نشــاط الفلاســفة وانتعــاش مذهــب المعتزلــة العقلانــي تغلبــت عوامــل غيبــت العقــل البرهانــي عــلى نحــو مقولــة:

العلمُ ما كانَ فيه قال حدثنا وَمَا سِوى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ

ثالثــاً: تحــول نظــام الحكــم إلى اســتبداد متــوارث يحكمــه التغلــب عــلى نحــو مــا قــال ابــن حجــر العســقلاني: "لقــد اجمــع الفقهــاء عــلى وجــوب طاعــة المتغلــب والقتــال معــه".

رابعاً: استبد الظلم الاجتماعي على نحو مقولة:

مهــر الفتــاة بألــف ألــف كامــل وتبيت ســادات الجيــوش جياعا

لــو لأبــي حفــص أقــول مقالتي وأقــص شــأن حديثهــم لأرتاعــا

خامســاً: ومنــذ الفتنــة الكــبرى تفرقــت الأمــة أيــدي ســبأ وصــار بــأس الفــرق والمذاهــب بينهــم شــديداً وتنابــذوا بالألقــاب: روافــض ونواصــب، بــل كفــروا بعضهــم بعضــاً، وتفــشى الغلــو والتعصــب ليقلــب مقولــة: "الْمُسْــلِمُ أَخُــو الْمُسْــلِمِ" [13] إلى: المســلم عــدو المســلم. حــدة العــداء بــين الفــرق الإســلامية جعــل أعــداء الأمــة الإســلامية يراهنــون عــلى هــذا العــداء لتمزيقهــا.

سادســاً: أوربــا التــي كانــت بالقيــاس متخلفــة اســتيقظت، وعــبر ثــلاث ثــورات: ثــورة ثقافيــة حققــت حريــة البحــث العلمــي والتكنولوجــي، وثــورة اقتصاديــة حققــت التنميــة، وثــورة سياســية حــررت الشــعوب مــن الاســتبداد؛ تمكنــت الــدول الأوربيــة مــن التفــوق عــلى العالــم المعمــور وأخضعتــه لســلطانها.

هكـذا صـارت الأمـة مرتهنـة للوافـد مـن الخـارج. حالـة الأمـة جعلتهـا جاذبـة للاحتـلال الأجنبـي.

وحتـى بعـد رحيلـه فـإن تفـوق فكـره وثقافتـه بهـر كثيريـن مـا جعـل عميـد الأدب العربـي نفسـه يقـول: علينـا الانخـراط في الغـرب بخـيره وشره لأنـه يمثـل مسـتقبل الإنسـانية. هـذا مـا قالـه د. طـه حسـين فيمـا نـشر عـن مسـتقبل الثقافـة في مـصر.

سـابعاً: الـدول التـي تديـر بـلاد المسـلمين غالبـاً دول هشـة تعتمـد غالبـاً عـلى القمـع الأمنجـي وفي غيـاب نظـم حكـم تقـوم عـلى المشـاركة والمسـاءلة والعدالـة الاجتماعيـة فـإن نظـم الحكـم غالبـاً محـاصرة مـن ثـورات شـعبية قادمـة أو حـركات غلـو إرهابـة متحفـزة. وصفـت الحالـة بمقولـة: " آفـة الـشرق حاكـم معبـود وشـعوب تذلهـن قيـود". حالـة تسـتدعى الثـورة عليهـا بحـركات شـعبية تقفـز إلى الإمـام أو حـركات جهادويـة تقفـز إلى الـوراء.

ثامنـاً: وينظـم العلاقـات الدوليـة نظـام الأمـم المتحـدة ناقـص العدالـة المكـون في غيبـة أكثريـة دول العالـم، عندمـا اتفـق عـلى تكوينـه كان عـدد الـدول الأعضـاء 51 بينمـا الـدول الأعضـاء الآن 193، وكان لـدول حلفـاء الحـرب العالميـة الثانيـة الخمـس هيمنـة عـلى النظـام، لذلـك ميـزوا دولهـم بحـق النقـض في مجلـس الأمـن. الخمـس دول دائمـة العضويـة في مجلـس الأمـن يحتكـرون السـلطة، ودول كبـيرة غـير مميـزة: الهنـد، اليابـان، ألمانيـا، البرازيـل. ولا تحظـى بالعضويـة الدائمـة أيـة دولـة إسـلامية مـع أن عددهـم يزيـد عـن 50 ولا أيـة دولـة أفريقيـة مـع أن عددهـم 54 ولا أيـة دولـة عربيـة مـع أن عددهـم 22.

وظيفـة الخـلاص والإحيـاء في هـذه المرحلـة تتطلـب أن يكـون للإسـلام دور الطليعـة في التنميـة الإنسـانية أو أن مسـيرة الإنسـانية سـوف تسـتمر باجتهـادات وضعيـة ويصـير للإسـلام وجـود متحفـي. التنميـة الإنسـانية المسـتدامة تتعلـق بأربـع غايـات هـي: دوام النـوع البـشري، وتحسـين

نـوع الحيـاة، وترسـيخ قيـم التضامـن بـين البـشر، وتوفيـق المعادلـة بـين العقـل ومـا فـوق مدركاتـه.

استحقاقات أن يكون للإسلام دورٌ خلاصي إحيائي هي:

أولاً: ينبغـي قيـام صحـوة ثقافية تـدرك أن حقيقـة الوجود تنقسـم إلى حقاق فوق مـدارك العقول وحقائـق تدركها العقول. ينبغـي تعميد العقـل في كل مجال إدراكه وهـو الطبيعـة التي تسـخرها سـنن راتبـة في علـوم الطبيعـة، والعلوم الإنسـانية، والعلـوم الاجتماعيـة. إن المرجعيـة لمعرفة هذه السـنن إلى العقل. المسـائل التي تقع فـوق إدارك العقـول هـي التـي مصدرها الوحـي والإلهـام. العقل عمـدة في مجال مدركاته.

ثانيـاً: فيمـا يتعلق بنصـوص الوحـي في القرآن والسـنة نقـول: إن القـرآن قطعي الـورود ولكـن ليـس قطعي الدلالـة ولمعرفـة هدايته تتبـع المطالـب الآتية:

معرفـة أن النـص حمـال أوجـه ولا نكـون كـالذين إذا ذكـروا بآيات ربهـم خروا عليهـا صمـاً وعميانـاً، بل الواجـب تدبـر القـرآن: (أَفَـلَا يَتَدَبَّـرُونَ الْقُـرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُـوبٍ أَقْفَالُهَـا) [14].

النـص القرآني (مِنْـهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُـنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَرُ مُتَشَـابِهَاتٌ)[15]. هذا هـو معنـى المثانـي أي مقاصـده وبموجـب المقاصـد تقـاس الآيـات. مثـلاً، هنالك آيـات تدل عـلى الاختيـار وآيـات تدل عـلى الجبر.

مـكارم الأخـلاق مـن مقاصـد الشريعـة والجـبر يعفـي المكلـف مـن المسـؤولية الأخلاقيـة. مـا يعنـي أن آيـات الاختيـار هـي المحكمـة وهلـم جـرا.

كذلـك هنالـك آيـات يعارض ظاهرهـا حقائـق علمية مثـلاً: (حَتَّـىٰ إِذَا بَلَـغَ مَغْرِبَ الشَّـمْسِ وَجَدَهَـا تَغْرُبُ فِي عَـيْنٍ حَمِئَـةٍ) [16]. التأويل هنا كما قال الرازي بحسـب رأي العين.

وهنالـك آيـات تغـيرت الظـروف التـي أوجبتهـا كسـهم المؤلفـة قلوبهـم وكملـك اليمـين والـرق وإطـلاق يـد صاحـب الـدم لأخـذ حقـه بيـده، وهلـم جـرا. في

هـذا المجـال عـلى الفقيـه أن يعـرف الواجـب اجتهـاداً لا تقليـداً ويحيـط بالواقـع ثـم يـزاوج بينهمـا.

وفيمـا يتعلـق بنصـوص أحاديـث السـنة فكمـا قـال النـووي لا يـكاد يوجـد حديـث متواتـر، وقـال الشـاطبي في الاعتصـام قـد أعـذر أن يوجـد حديـث متواتـر. ولكـن السـنة العمليـة مثـل كيفيـة الصـلاة تواتـرت باتباعهـا.

الأحاديث القولية تغربل بضوابط مثلاً:

أحاديـث عـذاب الميـت بالبـكاء عليـه تتعـارض مـع قولـه: (وَلَا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَىٰ)[17].

ألا تتعـارض مـع مقاصـد الشريعـة مثـل أحاديـث إهانـة أهـل الكتـاب ومـن مقاصـد الشريعـة أن نعاملهـم بالحسـنى، أو أحاديـث اضطهـاد النسـاء مثـل "النسـاء لعـب شـاوروهن وخالفوهـن" والصـدق مـن مقاصـد الشريعـة.

وألا تتعـارض مـع العلـم مثـلاً: منـع تأبـير النخـل. ومقولـة إن ذكـورة وأنوثـة الجنـين يحددهـا إذا عـلا مـاء الرجـل أو مـاء المـرأة.

ألا تتعـارض مـع الواقـع مثـل أحاديـث تشـير لصبـي وتقـول إذا عـاش حتـى هـرم يـدرك قيـام السـاعة.

وألا تتعـارض مـع العقـل، مثـلاً: روايـات كثـيرة في البخـاري أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وضـع يـده في إنـاء فجعـل المـاء ينبـع مـن أصابعـه، وأن الجـذع خاطبـه، وأنـه خاطـب صناديـد قريـش وهـم في القبـور. هـذه تناقـض العقـل وتناقـض القـرآن: (وَمَـا مَنَعَنَـا أَن نُّرْسِـلَ بِالْآيَـاتِ إِلَّا أَن كَـذَّبَ بِهَـا الْأَوَّلُـونَ)[18]. وقولـه: (مَـا أَنـتَ بِمُسْـمِعٍ مَّـن فِي الْقُبُـورِ) [19].

وألا يكـون الحديـث شـاذاً مثـلاً: "كان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يَطُـوفُ عَـلَى نِسَـائِهِ فِي اللَّيْلَـةِ الْوَاحِـدَةِ وَلَـهُ يَوْمَئِـذٍ تِسْـعُ نِسْـوَةٍ" [20]. وهنالـك حديـث نبـه عـلى نبـذ الأحاديـث الشـاذة في مسـند أحمـد المجلـد الثالـث قـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إِذَا سَـمِعْتُمُ الْحَدِيـثَ عَنِّـي تَعْرِفُـهُ قُلُوبُكُـمْ، وَتَلِـينُ لَـهُ

أَشْعَارُكُمْ، وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ قَرِيبٌ فَأَنَا أَوْلاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ بَعِيدٌ فَأَنَا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ" [21]. لذلك روى البخاري أن الإمام علي قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟"[22].

كذلك ينبغي أن تعرف تواريخ الأقوال المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم لأن اللاحق ينسخ السابق وهي في الكتب غير مرتبة بتاريخها.

كان اجتهاد الفقهاء لاستنباط الأحكام خصباً وأثمر عدداً من المذاهب أهمها ثمانية: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، والجعفري، والزيدي، والأباضي، والظاهري. وهي على اتفاق عام حول المسائل الشعائرية العبادية وعلى اختلافات واسعة فيما عداها.

ينبغي اعتماد التعايش بين المذاهب، واعتبارها غير ملزمة، وإسناد التشريع لمؤسسة تشريعية تكون على أساس المشاركة الحرة وتلم بالواجب اجتهاداً وبالواقع إحاطة وتزواج بينهما. ويراعى في تشريع الأحكام: مقاصد الشريعة، والعقل، والواقع، والمنفعة، والأولويات، والتدرج، وتستصحب كل النظم العدالية مهما كان مصدرها، فمهما تحقق به العدل فهو شرع الله ودينه حتى إذا لم يرد به النص، ففي نهج النبوة والخلفاء الراشدين استصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لخطة الحباب بن المنذر في بدر ولرؤية سلمان الفارسي في حفر الخندق، وجمع الصحابة للمصحف. واتلاف النسخ المخالفة وفيما يتعلق بقابلية الإسلام لاستصحاب المعقول والنافع الوافد قال الشيخ محمد مصطفى المراغي: قدموا لي أي شيء ينفع الناس وأنا أنبئكم بسنده في الشريعة.

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كتبت في كثير من الأحيان بصورة تجاري عسكرية العهد القديم اليهودي، وتجاري معجزية العهد الجديد المسيحي، هذه المجاراة غير مشروعة فالنبي صلى الله عليه وسلم حقق أهم منجزاته بصورة سلمية. هكذا أسس للكيان الإسلامي في المدينة سلمياً، وهكذا استمال الجزء الأكبر من الجزيرة العربية أثناء عامي الحديبية،

والمعـــارك الحربيـــة بـــين المســـلمين والمشركـــين كانـــت مـــن الناحيـــة العســـكرية ســـجالاً مـــا لا يـــبرر وصـــف الســـيرة بالمغـــازي. وكان فتـــح مكـــة ســـلمياً.

والســـيرة رائعـــة الأداء بحكـــم الســـنن الإنســـانية والاجتماعيـــة بـــلا حاجـــة لمجـــاراة مـــا ظهـــر في ســـيرة الســـيد المســـيح عليـــه الســـلام.

وعندمـــا تطـــرق عالـــم أمريكـــي، مايـــكل هـــارت، لعظمـــاء التاريـــخ كلهـــم اختـــار النبـــي محمـــد صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم الأول بينهـــم.

يجـــب ألا نشـــوه الســـيرة المحمديـــة بمجـــاراة العهـــد القديـــم اليهـــودي، ومجـــاراة العهـــد الجديـــد المســـيحي، وأن نعيـــد قـــراءة الســـيرة النبويـــة عـــلى أســـاس الســـنن الإنســـانية والاجتماعيـــة. هـــذا لـــن يســـلبها صفتهـــا بأنهـــا أروع قصـــة شـــهدتها البشريـــة. ســـيرته معجـــزة بمعنـــى أنهـــا لا تجـــارى.

بعـــد الصحـــوة الفكريـــة المنشـــودة، والقـــراءة المتجـــددة للنصـــوص كمـــا تحـــدد يعـــاد الاجتهـــاد في كافـــة مطالـــب الحيـــاة. بهـــدف واضـــح هـــو الاتجـــاه الإســـلامي طليعـــة للتنميـــة الإنســـانية في العـــصر الحديـــث.

إن لهـــذا التطلـــع التزامـــات في المجـــالات الإنســـانية تتطلـــب موقفـــاً إيجابيـــاً واضحـــاً مـــن منظومـــة حقـــوق الإنســـان وفي هـــذا الصـــدد قـــد أوضحـــت أن حقـــوق الإنســـان كلهـــا تنطلـــق مـــن خمســـة مبـــادئ هـــي: الكرامـــة، والعدالـــة، الحريـــة، المســـاواة، الســـلام. وقـــد نـــشرت كتابـــين بعنـــوان: الإعـــلان العالمـــي لحقـــوق الإنســـان مـــن منظـــور إســـلامي في عـــام 1998م، وكتـــاب آخـــر بعنـــوان: الإنســـان بنيـــان اللـــه، أكـــدت فيـــه إلزاميـــة حقـــوق الإنســـان بتفاصيلهـــا الحديثـــة مـــن المصـــادر الإســـلامية، وبينـــت أن الاســـلام إنمـــا يدعـــم الالتـــزام بهـــا بمـــا يوفـــر لهـــا مـــن أســـاس روحـــي وجـــزاء أخـــروي.

مأخذنـــا عـــلى معاهـــدة ســـيداو أنهـــا مبنيـــة عـــلى النفـــي إزالـــة بينمـــا الصحيـــح أن تبنـــى عـــلى الإيجـــاب:

كفالـــة حقـــوق المـــرأة الإنســـانية والإيمانيـــة والمواطنـــة. هنالـــك ممارســـات تقـــول بهـــا الثقافـــات الغربيـــة تتعـــارض مـــع الفطـــرة وأخـــرى ليســـت حقوقـــاً بالفهـــم

الصحيح بل أفرزتها ثقافات غربية. هذه الجوانب لا نقرها بل نقر كلما من شأنه كفالة حقوق المرأة إنسانياً، وإيمانياً، وسياسياً، واقتصادياً، كما نلتمس لهذا الانصاف أساساً روحياً واخلاقياً من نصوص الوحي القطعية وبموجبها نسقط النصوص المتشابهة.

هذه هي المفاهيم التي قررتها ورشة عقدتها هيئة شؤون الأنصار في عام 2004م.

وفي كتابي عن "حقوق المرأة الإسلامية والإنسانية" أضفت ملحقاً بمدونة جديدة للأحوال الشخصية تنادي بالمساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات. صحيح في بعض النصوص الدولية اعتبار المثلية الجنسية حقاً من حقوق الإنسان ولكننا قلنا ونؤكد مقولة كانط عن المقياس الأخلاقي أن يكون السلوك المقبول هو الذي يجد قبولاً إذا طبق على كل أو عموم المجتمع. هذا يمنع المثلية الجنسية. هذه حجة عقلية تدعم المبدأ الديني منها.

ولهذا التطلع التزامات في المجال الاجتماعي كالآتي:

الخلافة كنظام للحكم بدأ بخلافة أبي بكر (رض) وقد قامت بحكم الأمر الواقع الذي سماه عمر (رض) فلتة. وأدى الخلاف حول الخلافة بعد ذلك إلى الفتنة الكبرى وإلى أيلولة أمر الخلافة للمغالبة بالسيف على نحو ما قال الشهرستاني: ما سل سيفٌ في الإسلام مثلما سل في أمر الإمامة. لذلك كان تاريخ الإمامة دموياً سالت دماء ثلاثة من الخلفاء الراشدين اغتيالاً وخمسة من خلفاء بني أمية و12 من الخلفاء العباسيين. لا الولايات بلا مشاركة ولا التغلب يناسبان مبادئ الإسلام السياسية. كذلك جمع سلطات الدولة في يد واحدة ينافي العدالة المنشودة وكما قال ابن القيم: حيثما كان العدل فثم شرع الله ودينه.

إن العدالة في إدارة الشأن العام تتطلب إقامتها على المشاركة، والمساءلة، والشفافية، وسيادة حكم القانون.

أمـــا اتحـــاد المســـلمين في دولـــة واحـــدة فقـــد كان في الصـــدر الأول وفي العهـــد الأمـــوي ثـــم بعـــد ذلـــك تعـــددت الـــدول القطريـــة.

والآن المســـلمون يعيشـــون في 55 دولـــة وثلثهـــم يعيشـــون أقليـــات في دول أغلبيتهـــا غـــير مســـلمة.

لا يرجـــى توحيـــد دول المســـلمين اختاريـــاً أو بالقـــوة. الخيـــار الممكـــن هـــو أن يكـــون لـــدول المســـلمين أســـاس راشـــد للحوكمـــة وأن ترتبـــط تلـــك الـــدول بنظـــام تعاهـــدي.

فيمـــا يتعلـــق بالعلاقـــات مـــع الـــدول الأخـــرى ينبغـــي التخلي عـــن التقســـيم القديم بـــين أرض ســـلام وأرض حـــرب بـــل تقـــوم العلاقـــات الدوليـــة عـــلى التعاهـــد الـــذي يقـــوم عـــلى (لَّا يَنْهَاكُـــمُ اللَّـــهُ عَـــنِ الَّذِيـــنَ لَـــمْ يُقَاتِلُوكُـــمْ فِي الدِّيـــنِ وَلَـــمْ يُخْرِجُوكُـــم مِّـــن دِيَارِكُـــمْ أَن تَبَرُّوهُـــمْ وَتُقْسِـــطُوا إِلَيْهِـــمْ ۚ إِنَّ اللَّـــهَ يُحِـــبُّ الْمُقْسِـــطِينَ) [23].

نظـــام الأمـــم المتحـــدة الحـــالي أســـاس جيـــد ولكنـــه ناقـــص العدالـــة مـــا يتطلـــب إصلاحـــاً عداليـــاً.

مبـــادئ الإســـلام السياســـية تســـمح بهـــذه الاجتهـــادات فـــلا يوجـــد نظـــام حكـــم معـــين يوجبـــه الإســـلام وحجـــة الذيـــن يقولـــون بالحاكميـــة وأن الإســـلام هـــو الحكـــم إنمـــا يدعـــون لثيوقراطيـــة غريبـــة عـــلى الإســـلام فقـــد قـــال الخـــوارج: إن الحكـــم إلا للـــه، وقـــال الإمـــام عـــلي (رض): هـــذه كلمـــة حـــق أريـــد بهـــا باطـــل لأن الإمـــرة أي ولايـــة الأمـــر مصلحـــة مرســـلة يحددهـــا المســـلمون لتحقيـــق مقاصـــد الإســـلام السياســـية. وأفضـــل مـــا يحققهـــا نظـــام يقـــوم عـــلى المشـــاركة والمســـاءلة والشـــفافية وســـيادة حكـــم القانـــون كمـــا جـــاء في خطبـــة أبـــى بكـــر الصديـــق عندمـــا بويـــع خليفـــة إذ قـــال: "ولِّيـــتُ عَلَيْكُـــمْ وَلَسْـــتُ بِخَيْرِكُـــمْ (ولايـــة قررهـــا المســـلمون مشـــاركة)، فَـــإِنْ أَحْسَـــنْتُ فَأَعِينُونِـــي، وَإِنْ أَسَـــأْتُ فَقَوِّمُونِـــي (مبـــدأ المســـاءلة)، الصَّـــدْقُ أَمَانَـــةٌ، وَالْكَـــذِبُ خِيَانَـــةٌ (مبـــدأ الشـــفافية)، وَالضَّعِيـــفُ فِيكُـــمْ قَـــوِيٌّ عِنْـــدِي حَتَّـــى أُرِيـــحَ عَلَيْـــهِ حَقَّـــهُ إِنْ شَـــاءَ اللَّـــهُ، وَالْقَـــوِيُّ فِيكُـــمْ ضَعِيـــفٌ عِنْـــدِي حَتَّـــى آخُـــذَ الْحَـــقَّ مِنْـــهُ إِنْ شَـــاءَ اللَّـــهُ (مبـــدأ ســـيادة القانـــون)".

لذلك لا مبرر لفئة تدعي التحدث باسم الله وتعتبر ولايتها ولاية الله وأن من خالفها خارج عن ملة الإسلام. لا يجوز لأحد أن يجزم أن اجتهاده هو قرار إلهي فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لقائد السرية كما روى مسلم: وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا؟

وقال أبوذر لمعاوية لا تقل في أمر مال المسلمين مال الله بل مال المسلمين لكي يكون عرضة للمساءلة. لذلك لا يقال إسلام سياسي بل سياسة إسلاميين.

إدعاء أية فئة أنها تمثل حاكمية الله باطل.

الحاكمية بالمعنى الكوني لله، أما بالمعنى السياسي فهي للأمة وإلا صارت ثيوقراطية غريبة على الإسلام .مقولات الانكفاء الماضوي التي تقول: ما لم يعرفه البدريون فليس بدين" تفتح باب الغلو والتكفير كذلك مقولة المرحوم سيد قطب: ليس عبد الله وحده من يتلقى الشرائع القانونية من سوى الله.

وفي المجال الاقتصادي توجد مبادئ اقتصادية عامة ولكن لا يوجد نظام اقتصادي إسلامي.

الاقتصاد علم اجتماعي فيما يتعلق بقوانينه أما فيما يتعلق بأهدافه فهو يتطلب أهدافاً مثل التنمية، والعدالة الاجتماعية، والاستثمار، والتجارة وغيرها.

موقف مجتمعات المسلمين اليوم معيب من ناحية تحقيق التنمية ومعيب من ناحية تحقيق العدالة الاجتماعية ففي المتوسط يملك 10% من السكان 90% من الثروات ما يتطلب إقامة نظم اقتصادية موجهة لتحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية.

والنظام الاقتصادي العالمي الحالي في ظل العولمة أكثر استقطاباً بين 1% من السكان والآخرين. قدرت أوكسفام أن 1% من سكان الأرض يملكون أكثر من نصف ما يملك الآخرون. العولمة هي ظاهرة انتجتها ثورة الاتصالات والمعارف ولكن في واقع هيمنة دول معينة صارت أداة هيمنة وصارت مهددة للخصوصيات الثقافية. هذا يتطلب التجاوب مع إيجابياتها والحماية من سلبياتها.

الوضع الاقتصادي داخل بلدان المسلمين وفيما بينهم وبين العالم ظالم، ولا يمكن أن يستقر لما فيه من خلل في توزيع الثروات والدخول. بل يمثل وضعاً اجتماعياً متفجراً ورسالة الخلاص والإحياء معنية بإصلاحه جذرياً. نشرت في عام 1989م كتاباً بعنوان "تحديات التسعينيات" قلت فيه أنه بعد زوال الاستقطاب بين الغرب والشرق بعد هدم حائط برلين فإن الاستقطاب القادم هو بين شمال الكرة الارضية الغني وجنوبها الفقير وان ما في الجنوب من مظالم سوف يفرخ أسلحة الضرار السبعة وهي الإرهاب، والهجرة غير القانونية، والانفجار السكاني، والتلوث الصحي، والتلوث البيئي، وانتشار الاسلحة بصورة غير منضبطة بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل ، والحروب الأهلية.

وقلت إن هذه الحالات سوف تعبر الحدد نحو نصف الكرة الشمالي ولا تجدي معها الوسائل الأمنية وحدها ولا بد من إزالة الأسباب لا مجرد معالجة الاعراض. وها هي هذه الحقائق الآن ماثلة للعيان.

قلنا إن المهدية على يد الإمام المهدي لم تعد أمراً مرتبطاً بشخص يعود بعد قرون، ولا بشخص يأتي آخر الزمان ولكنها مرتبطة بوظيفة الخلاص والإحياء وما حددنا هنا من شروط للخلاص والاحياء الآن.

ولكن إذا اتضحت معالم الواجب فمن الذي سوف يتصدى لهذه الرسالة؟

الإمام المهدي تصدى للأمر في ظروف القرن التاسع عشر وجسد تطلعات أهل القبلة يومئذٍ، ودعم موقفه بخصوصيات غيبية.

والإمام عبد الرحمن تصدى لواجب التوفيق بين التأصيل والتحديث عملياً فجسد تطلعات المصلحين في القرن العشرين.

والآن المشهد مستعد لاستقبال من تؤهلهم الظروف الذاتية والموضوعية لتجسيد تطلعات أهل القبلة في يومنا هذا.

بالنسبة لنا كمجتمعات ذوات وجود إسلامي، عربي، أفريقي، آسيوي، وأوربي، وأمريكي ذات ثقافات متعددة وقد تعرضت للهيمنة الغربية

وصــارت تبحــث عــن نمــوذج للتنميــة البشريــة فقــد جــرت محــاولات نهضويــة انطلــق بعضهــا مــن فكرويــات علمانيــة قوميــة أو اشــتراكية.

التجــارب العلمانيــة ســواء الاشــتراكية أو القوميــة أخفقــت لأنهــا اهتمــت بالتنمية وتجــاوزت الهويــة هكــذا كان الحــال في تركيــا الكماليــة، وإيــران الشاهنشــاهية، ومــصر الناصريــة، والعــراق وســوريا البعثيــة، واليمــن الجنوبيــة الشــيوعية، والســودان الاشــتراكي، والتجــارب اللبراليــة، كانت تلــك المشروعات للتنمية فاشــلة لأنها أســقطت دور الهويــة والمعلوم أن الهويــة أولاً ثم مواجهة التحديــات التنموية. مشروعــات تنموية خــارج وجدان شــعوبها. إنها تجــار متعلقة بمســتقبل بلا وفاء

وجــرت محــاولات نهضويــة تحت شــعار إســلامي في كثير مــن البلدان في الســودان وفي مــصر وفي أفغانســتان. هــذه المحــاولات اهتمــت بالهويــة عــلى حســاب التنمية العصرية ففشــلت فشــلاً ذريعاً، لأنهــا مشروعات تغــرد خــارج سرب التاريخ. هذه تجــارب ذات وفــاء بلا مســتقبل

وهنالــك محــاولات توفيقيــة في تركيــا، وفي تونــس، وفي ماليزيا، وأندونســيا والحكم عــلى نجاحهــا في تجســيد وظيفــة الخــلاص والإحياء مؤجــل حتى إشــعار آخر.

ههنــا ســأقدم مرافعــة من أجــل احتمال أن يقــدم الســودان الأنموذج المنشــود. فما هي أوراق اعتماد الســودان؟

التجربة السودانية مدرسة مفيدة لمستقبلها ولغيرها للأسباب الآتية:

كان الســودان موطــن أنجــح ثــورة شــعبية في القرن التاســع عشر في الطــور الأول مــن المهدية.

وقــدم الســودان تجربة عمليــة للتوفيق بــين التأصيــل والتحديث. في الطــور الثاني مــن المهدية.

وقدم السودان أنجح عملية انتقال من السلطة الامبريالية إلى السلطة الوطنية.

وشــهد الســودان تجربــة لبراليــة كاملــة الدســم. تجربــة بقــدر مــا كفلــت الحريــات العامــة أخفقــت في تحقيــق توازنــات اجتماعيــة وفي إدارة التنــوع.

وشـهد السـودان انقلابـين عسـكريين رفعـا شـعارات أيديولوجيـة اشـتراكية وإسـلامية أثبتـت أن الاسـتيلاء العسـكري لتحقيـق أهـداف أيديولوجيـة فاشـل لأن السـلطة الانقلابيـة سـوف تحتـاج للقـوة لحمايـة سـلطتها مـا يحولهـا لنظـام فاشسـتي أمنجـي ويقـزم الأيديولوجيـة. نعـم تجـارب الحكم العسـكري لا سـيما في انقلابـي مايـو ويونيـو كانتـا آيـة في الفشـل ولكنهما شـكلتا درسـين في تجنـب ارتـكاب الخطـأ.

قال غاندي بحق ما يتحقق بالقوة يحتاج للقوة لحماية نظامه.

الفاشـية نهـج سـياسي يسـتمد اسـمه مـن كلمـة فاشـيو الإيطاليـة وهـي حلقـة معدنيـة كان الإمبراطـور الرومانـي يجمـع فيهـا مفاتيـح ترمـز للسـلطة المطلقـة.

هـذه النظـم تتعـارض حتمـاً مـع منظومـة حقـوق الإنسـان وتتعـارض حتمـاً مـع مؤسسـات الدولـة الحديثـة لأنهـا تحولهـا لأدوات سـيطرة لحـزب السـلطة بـل تهمـش المؤسسـات النظاميـة بإنشـاء تكوينـات مليشـياوية تـوالي السـلطة خـارج التكوينـات النظاميـة.

لذلـك فـإن تجربـة السـودان مـع النظـام الـذي رفـع شـعارات أيديولوجيـة بعد الاسـتيلاء الانقلابـي عـلى السـلطة درس لتجنـب الوسـائل الانقلابيـة لتطبيـق البرامـج الإصلاحيـة.

ومهمـا حاولـت الفاشـية السـيطرة عـلى المجتمـع السـوداني فـإن المـزاج السـوداني يسـتعصى عليهـا.

السـودانيون يمارسـون اختلافاتهـم الأيديولوجيـة والسياسـية بنسـبة عاليـة من التسـامح مـا يهيـئ مسـاحة للهندسـة المطلوبـة للخـلاص وللإحيـاء.

الشـعب السـوداني مـا زال يحتفـظ بمواعـين نشـاط سـياسي قـادرة عـلى الحركـة، والنظـام الحاكـم في السـودان هـو الأكثـر هشاشـة وبالتـالي الأكثـر اسـتعداداً للرحيـل عـن طريـق الـتراضي أو الإطاحـة. الدليـل عـلى هشاشـة النظـام الحـالي أنـه بعـد 29 عامـاً مـن الانفـراد بالسـلطة لجـأ داخليـاً لحمايـة

سـلطانه بأجهـزة مليشـياوية قبليـة وخارجيـاً اسـتجدى روسـيا أن تحميـه.

ما العمل؟

قدمنا الحاجة للخلاص والإحياء في المرحلة الحالية.

وقدمنـا أن أوراق اعتمـاد السـودان لتقديـم الانمـوذج المطلـوب لا تجـارى فمـا هـي مسـؤليتنا عـبر تفصيـل آليـات العمـل العـام؟

لدينـا كيانـان أحدهمـا دعـوى أي هيئـة شـؤون الأنصـار والآخـر سـياسي أي حـزب الأمـة القومـي.

ومـع أن ظروفـاً طارئـة ألزمتنـا بانتخـاب قيـادة واحـدة لهذيـن الكيانـين فـإن المطلـوب في المرحلـة القادمـة الفصـل التـام بـين الكيـان السـياسي والكيـان الدعـوي، الفصـل بـين الكيـان الدعـوي والكيـان السـياسي سـببه أن الكيـان الدعـوي يخـص الأنصـار وحدهـم. أمـا الكيـان السـياسي فمفتـوح لـكل المواطنـين انصـار وغـير انصـار ومسـلمين وغـير مسـلمين. نحـن نقـول نعـم للفصـل بـين الديانـة والسياسـية وهـذا لا يعنـي كمـا يظـن بعـض النـاس الفصـل بـين الديـن والدولـة. الدولـة عبـارة عـن شـعب، وأرض، وسـلطات تنفيذيـة وتشريعيـة وقضائيـة تمـارس عليـه. لا يمكـن الفصـل بـين الديـن والشـعب، ولا بـين الديـن والسـلطة التشريعيـة، وبـين الديـن والسـلطة القضائية ولكـن المطلـوب في هـذه المجـالات مراعـاة المسـاواة في المواطنـة.

إن النظام الشـمولي الحاكم حـاول في عام 2002م اختراق قيـادة حزب الأمة القومي وقيـادة كيـان الانصار وبقيـادات موالية له مـا جعل جماهير الأنصـار تحرص على قفـل البـاب أمام هـذه الاخترقات. مـا أوجـب الجمع بـين القيادتين في تلـك المرحلة والآن وجـب الفصـل بينهما. المرحلـة الراهنة تتطلـب التركيز على سـتة مهام هي:

تبني الفكر الإسلامي المجسد لمطالب الخلاص والإحياء.

القيـام بالدعوة والإرشـاد لنـشر ذلك الفكر. وفي هـذا الصدد الانتمـاء للدعوة يتعدى الحدود القطرية.

التواصل مع كل الجماعات الإسلامية لإبرام ميثاق المهتدين، لا سلام بين المسلمين دون سلام بين الطوائف.

التواصل مع كل الجماعات الدينية لا سيما أهل الكتاب لإبرام ميثاق الإيمانيين، التعايش والاحترام المتبادل بين أصحاب الملل الأخرى ضروري لأنه لا سلام بين الشعوب دون سلام بين الأديان.

علينا أن نبدي قمة التسامح مع الديانة اليهودية فهم أهل كتاب والتفسير بأن (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) [24] و(الضَّالِّينَ)[25] في الفاتحة هم اليهود والنصارى خطأ ففي القرآن أن هؤلاء هم المشركون. اليهود والنصارى أخوتنا في الملة الإبراهيمية.

أما الصهيونية فهي إمبريالية استيطانية ينبغي أن نتصدى لها بأقوى المواقف انتصاراً للحقوق الفلسطينية والعربية والإسلامية لا سيما في ظروف الانكسار الحالية. ولا ينفعهم الدعم الدولي فهو دعم الآن يحيد بعضه بعضاً. وأهل فلسطين سوف يصبحون أغلبية السكان بين النهر والبحر ولن يستسلموا. وتوازن القوى على الأرض ليس من مصلحة المعتدين فلا صلح إلا عن طريق رد الحقوق لأصحابها.

التمدد في مجال العمل الخيري والاجتماعي والإنساني.

تطوير فكرة أولاد النظام وشباب الأنصار وشباب النظام وتكوين منظمة شبابية، دعوية، تربيوية، رياضية، تغرس المهارات الحياتية باسم كشافة الفلاح .

تبني فكرة تعايش الحضارات.

ويرجى أن يتخذ هذا البرنامج شكله النهائي في المؤتمر العام الثاني لهيئة شؤون الأنصار. قبل الدعوة للمؤتمر العام الثاني لهيئة شؤون الأنصار سوف أدعو لورشة تكوينية لتطوير الدليل الأساسي لدستور للهيئة وسوف نحرص على ربط جهاز الدعوة والإرشاد بالاجتهاد المستمر، وعلى تطوير نشاط الهيئة كمؤسسة للخدمات الاجتماعية، والصحية، والتعليمية،

والاستثمارية، وللتنمية الحضرية، والريفية. سوف أقدم لهذه الورشة ورقة عمل مفصلة تقترح تطوير الدليل الأساسي لدستور وتقترح كافة الأنشطة المذكورة لتدرس وبعد ذلك تقدم لإجازتها عن طريق المؤتمر العام الثاني للهيئة.

ومن الرؤى الجديدة الدعوة لتمويل مجمع بيت الإمام المهدي، وجامع الخليفة، وبيت شيخ الدين، وبيت الخليفة، ودار الرياضة لمعاهد، ومساجد، ومكتبات، تحت عنوان البقعة المباركة قلب أم درمان عاصمة هوية السودان.

حزب الأمة القومي ودوره في هذه المرحلة:

أن يقدم حزب الأمة القومي مشروعاً لعهد وطني لبناء الوطن يتناول بيان برامج تأسيس الدولة الحديثة، والتنمية العادلة، والسلام العادل الشامل، والعلاقات الأقليمية والدولية المنشودة.

إجراء حوارات مع كل القوى السياسية ذات المرجعية الإسلامية، والشيوعية، والقومية، والأفريقانية بهدف استصحاب إيجابياتها وهندسة البناء التوفيقي الذي يحقق السلام العادل الشامل والتحول الديمقراطي الكامل.

يحسم مشروع بناء الوطن دور القوات النظامية في الدولة المدنية الديمقراطية الفدرالية الحديثة.

بعد تحديد معالم العهد الجديد لبناء الوطن يترافع الحزب لجعله اساساً للتعبئة من أجل النظام الجديد. المشاكل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وفي العلاقات الخاريجة التي أفرزها النظام الحالي حللناها واقترحنا حلولها في مجال آخر. ولكن هنالك مشاكل جديدة أفرزها النظام تتطلب إدراكاً بها وحلولاً حاسمة لها أهمها:

مشكلة النازحين داخل البلاد وأعدادهم الآن نحو 3 مليون إلا قليلاً. إن بقاء هؤلاء المواطنين في حالة نزوح لأكثر من 12 عام أفرز مشاكل اجتماعية واقتصادية وأمنية

كبيرة ما يتطلب علاجها وبرنامج عودتهم لمواطنهم الأصلية في أمان لذلك سوف ندعو لمؤتمر جامع. واتخاذ قرارات بحلها.

صحيح أن مشكلة الجنوب كانت موروثة من العهد الامبريالي. كذلك استمرت معقدة اثناء الحكومات التي سبقت النظام الحالي الذي باحتلاله للسلطة أجهض مؤتمراً قومياً دستورياً مزمعاً في 18/9/ 1989م.

وينبغي أن يحمل النظام الحالي المسؤولية عن وضع القوى السياسية الجنوبية امام خيار أن يكونوا مواطنين من الدرجة الثانية أو أن يقرروا مصيرهم. وقد اختاروا ذلك.

ولكن بعد فترة من الحكم المستقل اتضح أن المشاكل في دولة الجنوب فاقت كارثية المشاكل القديمة.

نحن لسنا أوصياء على اخوتنا في الجنوب ولكن عوامل جيوسياسية قوية تجمع بيننا.

علينا أن ننظم مؤتمراً فكرياً، وسياسياً، شعبياً، لدراسة الموقف والمساهمة في اقتراح حل يحقق الاستقرار والسلام والديمقراطية والتنمية في دولة الجنوب واقتراح العلاقة الخاصة المطلوبة بين دولتي السودان.

وهنالك مشكلة الاراضي التي خالف النظام المصلحة الوطنية وباعها لجهات أجنبية بل فرط فيها لسداد ديونه. وهنالك مشكلة السدود التي تواجه معارضة سكان المناطق المعنية.

لقد نظمنا ورشة لدراسة مسألة الأراضي وأخرى لدراسة مسألة السدود وسوف نعمل لايجاد تأييد قومي لما اهتدينا له من توصيات.

يدعو الحزب إلى إجراء عدالة انتقالية تحقق مساءلة في الأداء العام منذ الاستقلال. هذه المساءلة تتناول كل الاداء العام عبر النظم الانقلابية والنظم الديمقراطية وذلك عن طريق مفوضية عنوانها الحقيقة والإنصاف.

يحسم الحزب وينادي بإنهاء النظام الذي أسسه انقلاب 30 يونيو 1989 عبر التراضي أو الإطاحة بالوسائل السلمية.

يؤهل حزبنا السياسي للقيام بهذا الدور عوامل اهمها: تآكل الأحزاب المنافسة، تمدد أواصر التفاهم السياسي بيننا وبين القوى الجديدة من منابر الهامش والمنابر الشبابية والنسوية والمدنية.

ينسق الحزب مع كل القوى السياسية ذات الأهداف المماثلة داخل وخارج الوطن.

هذه المعالم تغذي برنامج الحزب الذي سوف يعرض لإجازته عبر المؤتمر العام الثامن.

وفي حالتي الكيان الدعوي والكيان السياسي يتم إجراء هيكلة جديدة بآليات ديمقراطية، وتدخل هذه الإجراءات في تجسيد وظيفة الخلاص والإحياء المنشودة. ومثلما تقوم هيئة شؤون الأنصار بنشر الدعوة في الإطار الإسلامي، يقوم حزب الأمة القومي بنشر الأنموذج الديمقراطي التنموي العدالي كأنموذج صالح بديلاً عن النظم الأوتوقراطية.

قيل أن بلداننا غير قادرة أن تحدث تغيراً أيجابياً، التحدي التاريخي أمامنا أن نفعل ذلك ولا نستبدل طغياناً بمثله بل نحقق عطاءاً سودانياً يقتدى به .

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – الســودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation



الدكتور محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي، أكاديمي وخبير قانوني سوداني، من مواليد يوليو 1965. حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة النيلين (2010)، ودرجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة أم درمان الإسلامية (2001)، بالإضافة إلى بكالوريوس القانون من جامعة القاهرة - فرع الخرطوم (1991).

تنقل في مسيرته المهنية بين مجالات القانون والبحث العلمي، حيث بدأ محامياً في السودان، ثم باحثاً قانونياً في بلدية مدينة أبوظبي ودائرة القضاء بإمارة أبوظبي، قبل أن يتقلد منصب المستشار القانوني لمصرف أبوظبي الإسلامي، ويشغل حالياً منصب مستشار قانوني للتشريعات والدراسات القانونية بدائرة البلديات والنقل - أبوظبي.

نال عدة جوائز، أبرزها جائزة الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان لأفضل بحث عن دولة الإمارات في أربعين عاماً - محور السياسة الخارجية.

له إسهامات علمية بارزة، من خلال مشاركته بأوراق وبحوث في مؤتمرات وندوات علمية، إلى جانب تحكيمه لعدد من الدراسات الأكاديمية.

نُشرت له مقالات فكرية وقانونية في صحف سودانية وإماراتية، كما أصدر عدداً من المؤلفات والبحوث في مجالات القانون والسياسة.

عضو في الاتحاد العام للمحامين السودانيين، وفاعل في المشهد الأكاديمي والمهني في السودان والإمارات.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution